البابا شنوده الثالث

تأملات في صلاة الشكر والمزمور الخمسين



قداسة البابا شنوده الثالث

تأملات في

صلاة الشكر والمزمور الخمسين

Contemplation in the Prayer of Thanksgiving and Psalm No. 50 .

2nd. print

Feb. 1994

الطبعة الثانية .

فبراير ١٩٩٤ م .

الكتاب : تأملات في صلاة الشكر والمزمور الخمسين .
المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث .
الطبعة : **الثانية مارس ١٩٩٤**
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست ـ الكاتدرائية ـ العباسية .
رقم الإيداع بدار الكتب : ١٩٩٠/٢٨٦٩ .



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

قصة هذا الكتاب

صلاة الشكر والمزمور الخمسون، نصليهما فى بدء كل صلاة من صلوات الأجبية. كما أن صلاة الشكر أيضاً توجد فى مقدمة القداس الإلهى، وفى مقدمة كل أسرار الكنيسة وكل صلاة طقسية.

لذلك كان أول كتاب أصدرته اسقفية المعاهد الدينية والتربية الكنسية كان «تأملات فى صلاة الشكر». صدر باللغة العامية وقتذاك سنة ١٩٦٤، ثم أعادت طبعه مرات كنيسة العذراء بمحرم بك بالأسكندرية. وننشره الآن بعد أعادة صياغته باللغة العربية، بعد أن أضفنا إليه تأملاتنا فى المزمور الخمسين. وأتذكر أننى أخذت صلاة الشكر موضوعاً للتأمل طوال مدة العطلة الصيفية فى محاضرات أسبوعية، حينما كنت مسئولاً عن أسرة الروحيات فى مدارس أحد الأنبا أنطونيوس بشبرا سنة ١٩٤٨.

أرجو من الرب أن يكون هذا الكتاب مقدمة لمجموعة كتب عن باقى الصلوات المشتركة فى الأجبية. ونسأل الله أن يقبل صلواتنا جميعاً.

البابا شنوده الثالث



تأملات في صلاة الشكر

صلاة الشكر

فلنشكر صانع الخيرات الرحوم لله ابا ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح • لانه سترنا واعاننا وحفظنا وقبلنا اليه وشفق علينا • وعضدنا واتى بنا الى هذه الساعة • هو ايضا فلنسأله ان يحفظنا فى هذا اليوم المقدس وكل ايام حياتنا بكل سلام • الضابط الكل الرب الهنا •

ايها السيد الرب الاله ضابط الكل ابو ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، نشكرك على كل حال ، ومن اجل كل حال ، وفى كل حال ، لانك سترتنا ، واعنتنا ، وحفظتنا ، وقبلتنا اليك ، واشفقت علينا ، وعضدتنا ، واتيت بنا الى هذه الساعة • من اجل هذا نسال ونطلب من صلاحك يا محب البشر ، امنحنا ان نكمل هذا اليوم المقدس وكل ايام حياتنا بكل سلام مع خوفك • كل حسد وكل تجربة وكل فعل الشيطان ومؤامرة الناس الأشرار ، وقيام الأعداء الخفيين والظاهرين • انزعها عنا وعن سائر شعبك وعن موضعك المقدس هذا • اما الصالحات والنافعات فارزقنا اياها ، لانك انت الذى اعطيتنا السلطان ان ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو • ولا تدخلنا فى تجربة • لكن نجنا من الشرير • بالنعمة والرافات ومحبة البشر التى لابنك الوحيد ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح • هذا الذى من قبله المجد والاكرام والعز والسجود تليق بك معه مع الروح القدس المحيى المساوى لك الآن وكل اوان

فلنشكر

إننا نبدأ صلواتنا بالشكر، لأن إحسانات الله علينا فى الماضى كثيرة جداً. **قبل أن نطلب جديداً ينبغى أن نشكر الله على إحساناته السابقة. وكما قال ماراسحق «ليست موهبة بلا زيادة، إلا التى بلا شكر».**

والله ليس محتاجاً إلى شكرنا، ولكننا نحن المحتاجون أن نشكر الله. كلما نشكر الله نتذكر إحسانات الله. وكلما نتذكر إحساناته، نشعر ونتأكد من محبة قلبه لنا. **وكلما نتأكد من محبته، تزيد الصلة بيننا وبينه. وهكذا نستفيد.**

كما أن شكر الله وتذكر إحساناته يشجعنا أن نعيش فى الرجاء. ونقول أن الذى حافظ علينا فى الماضى، يحافظ الآن. والذى ستر فى الماضى، يستر الآن. على رأى كاهن عجوز فى الصعيد كان دائماً يصلى ويقول: «اللى قضى ما مضى يقضى ما بقى». أى إن الذى ساعدنا على أن نقضى ما مضى من أيامنا، يجعلنا نقضى ما بقى منها. فنحن نحاول أن نتذكر إحسانات الله

إلينا ، لكى يكون لنا رجاء فى المستقبل .

داود النبى كان باستمرار يذكر إحسانات الله إليه . ليتكم تحفظون المزمور ١٠٣ «باركى يا نفسى الرب ، وكل ما فى باطنى يبارك إسمه القدوس ، باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته ...» فهو يطلب من نفسه أن تبارك الرب و يبارك الله من أعماق قلبه ، من داخله قائلاً «كل ما فى باطنى فليبارك إسمه القدوس» .

إننا نبدأ صلواتنا بالشكر ، وليس بالطلب ، لئلا يظن أنه لولا الطلب ما كنا نصلى ! أو أن صلواتنا صلاة منفعة ! لكننا نقول له قبل أن نطلب منه شيئاً : إننا مغمورون يارب باحساناتك . فضلك علينا كثير. حتى إن كنت لا تعطينا الآن شيئاً ، يكفى ما مضى من إحساناتك علينا . إنها تكفى .

ونحن نشكر الله فى شعور بعدم الاستحقاق . الشخص المنسحق النفس ، هو الذى يستطيع أن يشكر. لماذا ؟ لأن الإنسان المتكبر، يظن فى الخير المحيط به أنه هو أهل له ، وأنه يستحق نتيجة أعماله الصالحة ، ونتيجة لجهاده . وقد ينسب كل الخير المحيط به إلى نفسه .

إذا نجح فى إمتحان يقول : أنا ذاكرت هذه السنة وتعبت . وإن كان فى صحة ، ينسبها إلى عنايته بنفسه .

وإن كان غنياً ، يقول حسن أننى اكافح فى الحياة ، لذلك أتمتع بتعب يدى ، إنه ينسب الخير كله إلى نفسه .

أما المنِسحق القلب ، فيشعر أنه لا يستحق شيئاً ، القليل الذى معه ، يشكر عليه كثيراً جداً . يقول له : يارب أنا لا أستحق كل هذا ! تخجلنى نعمتك ومحبتك ، وإحساناتك . فلو عاملتنى حسب استحقاقى ، لكنت أشابه الهابطين فى الجب .

إن الذى يستطيع حقاً أن يشكر هو الإنسان المنسحق .

هناك أشخاص حياتهم كلها تذمر ، حياتهم كلها تضجر . **مهما أعطاهم الله ، لايشكرون ، ومهما أخذوا ، لا يباركون الرب .** باستمرار فى تضجر وتذمر . لاحظوا أن أبوينا الأولين كان عندهم خيرات الجنة كلها . ومع ذلك لم يكتفيا واشتهيا الشجرة الباقية !

فالشكر ينشأ داخل القلب . على رأى ماراسحق «**الذى لا يشكر على درهم واحد ، كاذب هو إن قال إنه يشكر على ألف**

دينار». الشخص الذى لا يشكر على القليل لا يمكن أن يشكر على الكثير، لأن عنصر الشكر غير موجود فى قلبه .

حياة الشكر هى حياة رضا . إنسان قلبه راض ومستريح على الوضع الذى هو فيه . يقول له يارب اشكرك . مجرد بقائى كما أنا ، مجرد أنى سائر على قدمى ، إنما هو نعمة عظيمة من عندك .

إن كنا لا نشكر ، فذلك لأننا لا نرى ! لا نبصر إحسانات الله ! لأن عيوننا ترفض أن تبصر. لو كنا نرى ما يحيط بنا من نعم لكانت حياتنا كلها لا تكفى للشكر. فعلى الأقل و كل صلاة من صلواتنا نبدأها بالشكر. نشكر ربنا الذى خلقنا وأوقفنا قدامه ، وأعطانا فرصة لكى نصلى ، وقلباً منفتحاً للصلاة ، وجعلنا مستحقين أن نرفع أيدينا إلى فوق .

ماذا نقول فى صلاة الشكر ؟ نقول :

فلنشكر صانع الخيرات

سبب الشكر هو أن الله صانع الخيرات ، الذى لا يؤمن أن الله صانع الخيرات ، لا يمكن أن يشكر. يلزمنا ـ لكى نعيش فى حياة الشكر ـ أن نؤمن أن الله صانع الخيرات .

الله دائماً يعمل خيراً ، لا يستطيع أن يعمل، ولا يعرف أن يعمل إلا الخير. كل ما يعمله خير. «كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الرب» (رو٨ : ٢٨) السالك فى محبة الله يرى كل ما يحدث له خيراً .

فلنشكر صانع الخيرات ... نحن نشكر الله لأنه دائماً يصنع خيراً . صنع خيراً معنا فى القديم ، ومازال يصنع معنا خيراً ، وسيصنع معنا خيراً فى المستقبل . يصنع معنا الخير ونحن فى برنا ، ونحن أيضاً فى خطيتنا ، فى دنسنا ووحلنا وقذارتنا . الخير الذى فيه لا يتوقف على بر فينا . هو يصنع الخير من أجل طيبته وحنانه وبره وصلاحه ، وليس من أجل استحقاقنا أو من أجل برنا .

والخير الذى يعمله الله هو خير فى ذاته ، حتى لو كان يبدو لنا متعباً . أولاد الله يقبلون كل شيء من يده كخير، مهما يبدو ذلك متعباً فى ظاهره .

مريض يذهب إلى الطبيب فيعطيه دواء حلو المذاق ، يشربه ويقول إنه خير. وحتى إن أعطى له دواء مر الطعم ، يشربه ويقول هذا أيضاً خير. لا يهم إن كان الدواء حلواً أو مراً . المهم أنه مادام من يد الطبيب ، فلابد أن يكون خيراً .

نحن نشكر الله لأنه لا يصنع إلا الخير. فالشر دخيل على العالم. عندما خلق الله المسكونة كلها، «**نظر إلى كل ما فعله وصنعه، فإذا هو حسن جداً**» (تك ١ : ٣١). قد ينظر أناس إلى بعض مخلوقات الله على اعتبار أنها ضارة أو متعبة! وهو لا يعرف الخير الذى فيها. **كل شيء صنعه الله له خير معين، ادركناه أو لم ندركه.**

قرأت منذ سنوات طويلة بحثاً للقديس جيروم عن فوائد الحشرات والحشائش التى تبدو لنا ضارة. لأن إنساناً سأله: «مادام الله يحب الخير، **فلماذا خلق الخنافس والصراصير والعقارب والثعابين والأعشاب المرة**» فكتب له بحثاً عجيباً عن فوائد هذه الأمور، وشرح بعض فوائدها من النواحى الطبيعة، فتعجبت أنه يوجد علم بهذا الشكل فى زمن جيروم فى أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس! فعلى الأقل فى أيامنا هذه، لابد أن نعرف أكثر...

لو حاول كل إنسان أن يبحث عن الخير الموجود فى أعمال الله. لكان يستريح. ففى كل مشكلة تصادفه يسأل نفسه: ما هو الخير الذى فيها؟ ولماذا سمح الله بها؟ أليس بسبب

الفائدة ؟ طبعاً ، هناك فائدة عرفناها أو لم نعرفها ...

حتى الناس الأشرار الذين يبعثهم الله إلى طريقك ، فيهم خير وفائدة . ربما يعطونك فضيلة معينة ... الشخص الفاضل يعطيك قدوة صالحة . والشخص الشرير يعطيك فضيلة الاحتمال ، فضيلة محبة المسيئين والأعداء ، يعطيك فضيلة سعة الصدر ، لا أحد فى الدنيا ليست وراءه فضيلة .. الأب العطوف يعطيك حناناً ، والأب القاسى يعطيك تربية وحزماً ويخرجك إلى الحياة متيناً غير مدلل ...

فلنشكر صانع الخيرات ... الله يصنع خيراً . حتى لو فعل الناس بنا شراً ، **فإن الله يحول الشر إلى خير. لأن الله رحوم .**

الرحوم الله

الرحمة صفة من صفات الله التى تجعله يشفق على الإنسان ويحسن إليه . والرحمة طبع فيه . لا تظن أن الله يحسن إليك كمجرد مكافأة على عملك . إنه يحسن إليك لأنه رحوم حنون ، قلبه طيب ... طبيعته هكذا ...

تطبيق الصلاة فى حياتنا

« فلنشكر صانع الخيرات الرحوم الله » . حينما تذكر ، أذكر أيضاً أن المفروض فيك أنك صورة الله ومثاله ، فالله خلقنا على

صورته . **إن كان صانع خيرات ، مفروض فينا أن نكون مثله ،** كل واحد فينا صانع خيرات . إن كان الله رحوماً مفروض فينا أن نكون نحن أيضاً رحومين ، لأننا نحن أولاد الله ، ولابد أن نشبه أبانا السماوى ...

اسأل نفسك أثناء الصلاة هل أنا يارب على صورتك ومثالك؟ وهل أنا مثلك اصنع الخير باستمرار؟؟ ... أنت تصنع الخير مع كل أحد. تشرق على الأشرار والأبرار، وتمطر على الصالحين والطالحين، وتشبع كل حى من رضاك . **فهل أنا أيضاً أصنع خيراً مع الحبيب والعدو الصالح والشرير.** أم أننى فى **صنع الخير، أتأثر بمعاملات الناس وطباعهم ؟!**

كلمة لطيفة قيلت عن السيد المسيح ، ليت كل منا يضعها أمامه كشعار له . قيل إنه « **كان يجول يصنع خيراً** » (أع ١٠ : ٣٨) . يعمل خيراً مع كل أحد . **أنا أتصور أن كل إنسان عاشر المسيح ، لابد أن يكون نال منه خيراً.** حتى الذين هلكوا فى خطاياهم ربما حياتهم كانت ستؤول إلى أسوأ ، لولا أنهم رأوا المسيح .

بيلاطس البنطى رأى المسيح فى يوم ، فى جزء من يوم . ومع ذلك تأثر به تأثيراً عجيباً . وارتعش أمامه وهو الوالى . وخاف

وبذل كل المحاولات التى يستطيع جبنه أن يبذلها، لكى ينقذ المسيح. وغسل يديه وقال لست أدرى علة فى هذا البار!!

المسيح حتى ساعة صلبه صنع خيراً وهو مسمر على الصليب: صنع خيراً مع اللص اليمين فوعده بالفردوس. وصنع خيراً بصالبيه، فطلب لهم المغفرة. وصنع خيراً بأمه، فعهد بها إلى يوحنا. وصنع خيراً بيوحنا، فأعطاه بركة وجود العذراء فى بيته.

وصنع خيراً بالبشرية كلها ففداها... صنع خيراً بقائد المائة، الشخص الذى ضربه بالحربة، فآمن به بعد صلبه... صنع خيراً بكل أحد.

المسيح كان يجول يصنع خيراً. **وأنت يا أخى. هل تجول تصنع خيراً؟** الحياة المسيحية ليست حياة سلبية. أعنى أنه لا يكفى أن تقول أنا **اليوم لم أعمل خطية... هذا من الناحية السلبية. إنما من الناحية الإيجابية إسأل نفسك ما هو الخير الذى فعلته فى هذا النهار؟** ما هو الخير الذى فعلته مع كل إنسان قابلنى؟

مفروض أن كل إنسان يقابلك، تعمل معه خيراً. ليس المطلوب منك أنك تبحث ما هى الخيرات التى أخذتها أنت؟ **بل تسأل ما هى الخيرات التى أعطيتها لغيرك؟**

فلان قابلنى . ما هى المنفعة التى أعطيتها له ؟ هل تحدثت معه حتى مل من حديثى ؟ أم أعثرته بكلام عن سيرة الناس ؟ فلان قعدت معه. وفضلت أمسك سيرة الناس وملأت أذنيه بالخطايا

ما هو الخير الذى عملته مع كل أحد ؟ هناك إنسان تعطيه كلمة منفعة، وإنسان تعطيه قدوة صالحة. وإنسان تعطيه بركة- مساعدة- ابتسامة- كلمة حلوة- محبة- معونة فى أى شيء- تنقذه من مشكلة- تعطى له نصيحة- تريح نفسيته- تعزيه .

اعمل خيراً . ينبغى أن تجول تصنع خيراً. كما كان سيدك . هذا هو المفروض فيك، حتى إذا قلت « فلنشكر صانع الخيرات » تكون إبناً يشابه أباه فى هذه الصفة .

أريد أن يكون هذا تدريباً ننفذه فى الأسبوع المقبل : كيف نكون صانعين للخيرات ، فى كل يوم يمر بنا ، ومع كل أحد يلتقى بنا . بحيث لو قابلك أحد ، ولم تصنع معه خيراً ، توبخ ذاتك على تقصيرك .

أما إذا كنت يا أخى لا تستطيع أن تصنع خيراً، فعلى الأقل قف فى مكانك، ولا تصنع شراً بأحد .

« فلنشكر صانع الخيرات الرحوم الله » . لذلك مفروض أنك

تكون رحوماً . طوبى للرحماء ، فإنهم يرحمون . ولما تكون حنوناً على الناس ، يكون الله حنوناً عليك ، فالكتاب المقدس يقول « بالكيل الذى به تكيلون ، يكال لكم ويزاد . **فإذا كنت أنت تكيل للناس بالرحمة ، ربنا يكيل لك بالرحمة ، ويزيدها . وإذا كنت تعامل الناس بالقسوة تأخذ قسوة وأكثر.** بالكيل الذى به تكيلون يكال لكم ويزداد .

إذن كن طيباً مع كل أحد . وزع حنانك ، وزع محبتك ، على كل أحد . وزع خيرك على كل أحد . وزع كلامك الطيب على كل أحد ، **اجعل كل أحد يباركك ، وكل أحد يحبك ، وكل أحد يشعر أن لك قلباً واسعاً يستطيع أن يسكن فيه ويستريح .**

الله أبا ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح

الله :

نحن نشكر صانع الخيرات الرحوم . نشكره لأنه هو الله أبو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح . شكرنا له باعتباره أنه هو الله ، نتذكر فيه أن الله هو خالق كل شيء ، وكل شيء فى يده . كون أن الله كامل القدرة ، كامل الإمكانية ، فى إمكانه أن يعمل كل ما يريد ، هذا يجعلنا نشكره على يده القوية فى حياتنا ، كإله .

نشكره لأنه هو الذى خلقنا ، وهو الذى يعرف احتياجاتنا ، الله يعرف أننا نحتاج إلى هذه كلها قبل أن نطلب ودون أن نطلب لأنه هو الله .

أبا ربنا ومخلصنا يسوع المسيح

فى قولنا هذا ، نتذكر أن الله الذى نصلى له ، **هو محب للبشر جداً، لدرجة أنه بذل إبنه الوحيد** لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية ، فنقول له نشكرك يا الله لأنك أنت أبو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح . **نشكرك لأنك أبو الحنان ، وأبو الفداء ، وأبو المسيح إلهنا الذى خلصنا بدمه .**

بمجرد أننا نتذكر كلمة المسيح إلهنا ومخلصنا ، يجعلنا نمتلىء بالشكر ، لأن إسمه يذكرنا بالخلاص ، بالفداء ، يذكرنا أن الله أخلى ذاته ، وأخذ شكل العبد ، وصار فى الهيئة كإنسان ، لكى يخلصنا جميعاً . ونذكر الخلاص العظيم الذى تعجب منه الرسول قائلاً : « فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره » (عب ٢ : ٣) .

نقول له نشكرك يا الله أبو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، لأنك أحببتنا حتى المنتهى . فإذا كان حبك وصل لدرجة أنك بذلت إبنك عنا ، فكم بالأولى الأمور التافهة التى نطلبها ؟

لماذا نشكر ؟!

لأنه سترنا

نشكره أولاً لأنه سترنا . ما معنى أنه سترنا ؟ أى أنه لم يفضحنا ، ولم يكشفنا أمام الناس ، لم يظهر عيوبنا أمام كل أحد . هنا نبدأ معترفين أننا خطاه نحتاج إلى ستر.

إن الناس لو عرفوا شيئاً بسيطاً عن عيوبنا ، لاحتقرونا وأتعبونا وسخروا بنا . فكم بالأولى لو عرف الناس جميع العيوب التى فينا !! لو أن الله كشف للناس جميع أفكارنا ، وجميع تدابيرنا الخفية ، وجميع شهواتنا وخطايانا ، التى نعملها ولا يعرف بها أحد !!

أحياناً يرتكب إنسان خطأ ، ويخاف جداً أن يعرفه شخص آخر، ويخجل من ذلك إلى أبعد حد . و يفكر يا ترى هل عرف فلان أم لم يعرف ؟ وإن كان الخبر لم يصل له يقول : « اشكرك يارب لأنك سترت هذه الغلطة ، ولم تجعلها مكشوفة » .

فكم بالأولى الله الذى سترنا فى كل شىء . هو يرى كل عيوبنا ، و يصمت ويحتملنا . أما الناس فإنهم لو عرفوا عيوبنا لا

يرحمونا . حقاً «أقع فى يد الله ولا أقع فى يد إنسان، لأن مراحم الله واسعة » (٢صم ٢٤ : ١٤) .

الله يرى كل العيوب ، مع أنه قدوس ، لا تتفق الخطيئة مع طبيعته . **ومع ذلك فهذا القدوس الذى لا حدود لقداسته يرى كل الخطايا ، ويسكت . لكن الإنسان الخاطىء ـ الذى يقع هو أيضاً فى الخطيئة ـ لو رأى خطايا الناس ، لا يسكت . ولو رأى ولو حتى ١/١٠٠٠ من خطايانا لا يرحم !**

لذلك نحن نشكر الله لأنه سترنا «ليس خفى إلا و يعرف ولا مكتوم إلا و يستعلن» (متى ١٠ : ٢٦) . ومع ذلك لم يشأ الله أن يعرّف الناس بخطايانا ، ولا أعلمها للآخرين ، ومازال يستره .

حتى فى خطايانا التى نعترف بها ، من حنو الله العظيم ، قال إن الاعتراف بالخطايا يكون سراً على شخص واحد فقط ، وهذا الشخص مقيد بقوانين كنسية لا تسمح له أن يقول حرفاً منها حتى لو ذبحوه لا يبوح به . ما أعجبك يارب . إلى هذه الدرجة تخبىء خطايانا وتحجبها وتسترها ؟!

وكأنه يقول : حينما تعترفون بخطاياكم ، نلقى عليها ستراً فلا تظهر . وأنا قابل هذا الإعتراف البسيط الذى يعرفه شخص واحد . لذلك نحن نشكره لأنه سترنا .

إنه يعرف أننا لا نحتمل الانكشاف والفضائح ، فسترنا . سترنا أمام الأعداء الذين يشمتون بنا ، سترنا ونحن نكسر وصاياه ونجدف عليه .

عندما نتذكر هذا ونشكر الله على الستر والتغطية ، ينبغى أن يجول بفكرنا ما نكشفه من خطايا الناس ...

وكيف أننا نكشف ونعلن خطايا أخوتنا وخطايا كل أحد !!

الكتاب المقدس يقول « الكيل الذى به تكيلون ، يكال لكم ويزداد » (مر ٤ : ٢٤) . **إذا كنت تريد أن الله يسترك ، خبئ أنت أيضاً خطايا أخيك الإنسان .** الله يستر وهو قدوس ، أفلا يليق أن تستر خطايا أخيك وأنت خاطىء مثله ؟ لأنك لو كشفت خطايا الآخرين تكون فى خطر أن يكشف الله خطاياك . والمثل يقول :

« من كان بيته من زجاج لا يقذف الناس بالحجارة »

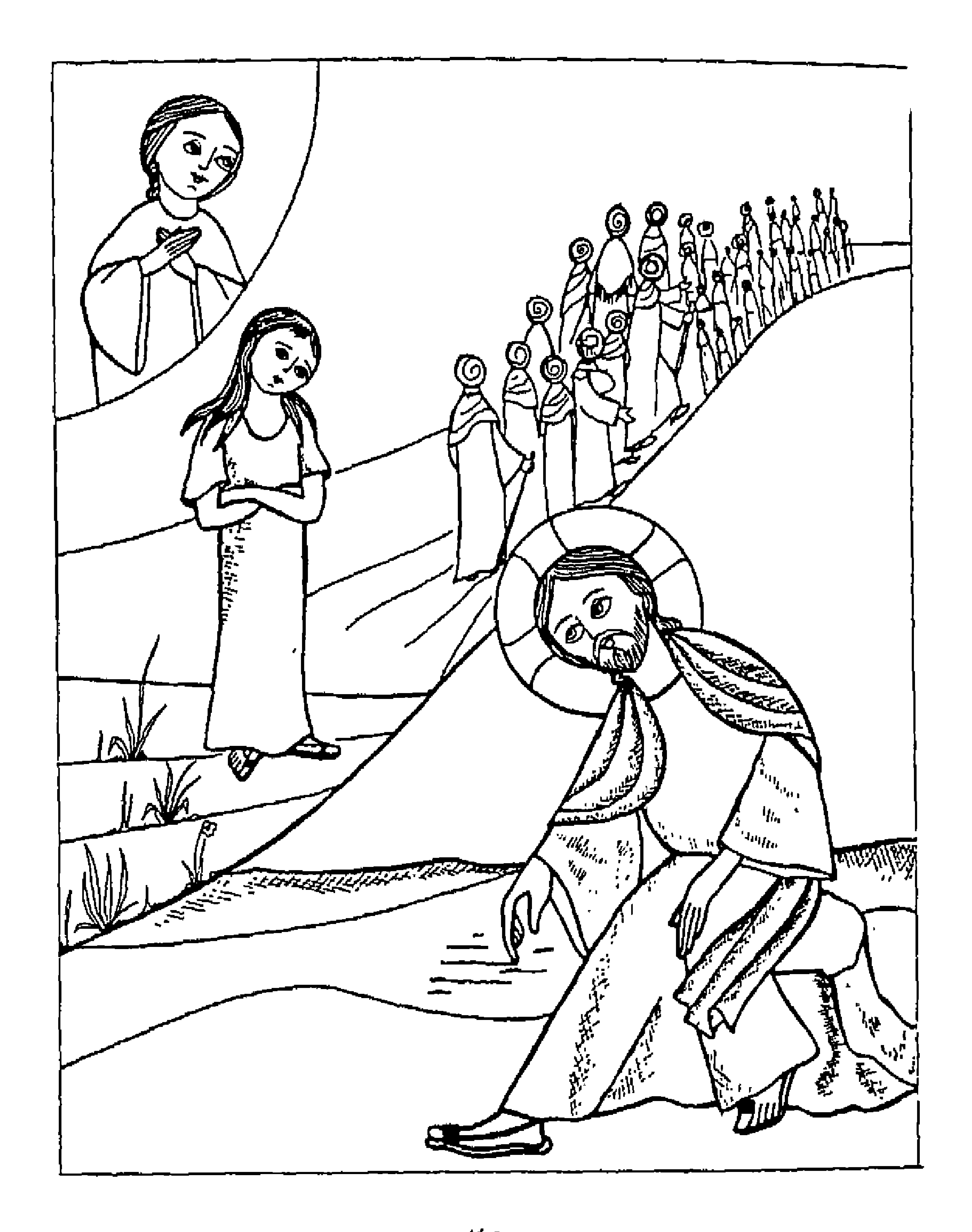
فنحن أناس كلنا عيوب ، وربنا يسترها عن أعين الناس ، فلنشكره على ذلك . وبدورنا نحن أيضاً يجب أن نستر على خطايا الناس . يوحنا ذهبى الفم يقول « إن كنت لا تستطيع أن تأخذ خطيئة غيرك وتنسبها إلى نفسك ، وتحتمل الذنب بالنيابة عنه ، وتضحى بذاتك من أجل خطيته ، فعلى الأقل اصمت ولا تكشف خطايا الناس » .

« إن كنت لا تستطيع أن تسد فم الذى يتكلم على أخيه بالسوء، فعلى الأقل سد فمك أنت ، ولا تتكلم على أخيك بالشر» ...

يقول المزمور «يارب من يسكن فى مسكنك أو من يصعد إلى جبل قدسك إلا السالك بلا عيب ، الفاعل البر، الذى يتكلم بالحق فى قلبهٔ ، ولا يغش بلسانه ، ولا يفعل بقريبه سوءاً ، ولا يقبل عاراً على جيرانه.» (مز١٥) . إذن مجرد قبول العار على جيرانه ، مجرد سماع كلمة اساءة عليهم، أمر ردىء. فإذا فعل ذلك أحد أمامك ، قل له « نشكر الله لأنه سترنا ... فمثلما سترنا ، يجب علينا نحن أن نستر الناس الآخرين » .

آدم حاول أن يستر نفسه بأوراق التين ولم تنفع. لم تستطع أوراق التين ولا أغصان الشجر أن تخفيه. ظل عرياناً أمام الله لا يستتر. وهو نفسه قال «لأنى عريان أختبأت » . **إنك لم تعرف أن تستر نفسك يا آدم ، ولا حواء أيضاً ... أعرف إذن أن الله هو الذى يسترنا . نشكره لأنه سترنا .**

الله عجيب بشكل لا يوصف ، نحن نعتدى عليه ونكسر وصاياه ، وهو يخبىء و يستر! **أما نحن فدائماً نشتكى ونتذمر، وفى الشكوى والتذمر نكشف خطايا الناس وعيوبهم وضعفاتهم، ولا نحتمل ...**



شخص مثل أيوب الصديق ، قطعاً كانت له ضعفاته وأخطاؤه ، لأن «الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله ، ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (مز ١٤) . **كان شيطان المجد الباطل يزحف قليلاً قليلاً إلى قلب أيوب . ومع ذلك لما وقف الشيطان أمام الله ، قال له الرب «هل جعلت قلبك على عبدى أيوب . رجل كامل ومستقيم ويفعل الخير ويحيد عن الشر وليس مثله» (أى ١ : ٨) .**

إلى هذه الدرجة ؟ أنت يارب تعلم كل شيء ، تعرف المجد الباطل الذى يزحف إلى قلب أيوب ، وعارف أنه «بار فى عينى نفسه» (أى ٣٢ : ١) وعارف أن قلبه منتفخ بالغنى والثروة والبنين والقوة المحيطة به (أى ٢٩) . ومع ذلك تقول عبدى أيوب ليس مثله فى الأرض ، رجل كامل ومستقيم ، و يفعل الخير و يتقى الله ويحيد عن الشر؟! ما أرحمك يارب كم تستر كثرة من الخطايا ؟!

و بعد ذلك نرى أيوب قد شق ثيابه وجز شعره ، وقال «الرب أعطى الرب أخذ» . والرب لم يؤاخذه على جز الشعر وشق الثياب . وفى أول مقابلة له مع الشيطان بعد ذلك . قال له «هل وضعت قلبك على عبدى أيوب لأنه ليس مثله فى الأرض ، رجل كامل ومستقيم» (أى ٢ : ٣) .

ونحن نسأل أيمكن أن يكون كاملاً وقد جز شعر رأسه؟ ويعيب الرب نستر ونغطي.

هذا هو اسلوب الله ، أما نحن فإذا عرفنا غلطة عن واحد ، ننشرها فى كل مكان... ننسى الله الذى سترنا ، ونخبر حتى تراب الأرض بما حدث ، وكلما نقابل أحداً نقول له : أم تسمع؟ أم لم تعرف . ألم تدر ما جرى؟ لم تر ما حدث؟ وما أكثر الكلام... وبعد هذا الكلام كله ، نقول فلنشكر صانع الخيرات لأنه سترنا !!

عجباً مادام قد سترك ، أستر أنت أيضاً. نحن نريد أن يكون الستر لنا فقط . نكون نحن مستورين ، ويكون غيرنا مكشوفين. الستر لنا نحن فقط ، أين الآية التى تقول : « تحب قريبك كنفسك » . أنت لا تحب أن نفسك تبقى مكشوفة . فكذلك لا يصح أن يكون مكشوفاً هو أيضاً .

فلنشكر صانع الخيرات لأنه سترنا .

إذا كنت يا أخي بدون عيوب تحتاج إلى ستر، يمكن يكون لك حق أن تكشف غيرك . أما إذا كنت أنت نفسك تحتاج إلى تتغطى وتستتر، فعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به...

عملية الغفران هى عملية تغطية ، عملية ستر، الله يأخذ خطيتنا ، ويلقى ستراً عليها ، ويغطى عليها . وهذه هى

الكفارة أى التغطية.

والكافر فى اللغة العربية هو الشخص الذى يغطى نعمة الله فلا تظهر. وكانوا فى الأدب العربى القديم قبل الإسلام يطلقون كلمة « كافر» على الفلاح الذى يضع البذرة فى الأرض و يغطيها . فلما أتى الإسلام حددها فى معناها الحالى. حتى أن كلمة cover بالإنجليزية تعطى نفس المعنى ، أى يغطى .

وكون أن الله يكفر عن خطايانا ، معنانها أن الله يضع على خطيتنا دمه الفادى ، فتتغطى بالدم ولا تظهر لأحد ، ولا حتى أمام العدل الإلهى...

وأعـانـنـا

فلنشكر صانع الخيرات الرحوم الله ... لأنه سترنا **وأعاننا : ولولا** معونته ، ما كنا نستطيع أن نتقدم خطوة واحدة. نحن كثيراً ما ننسى معونة الله . ننسى كثيراً عمل النعمة فينا . ننسى أن الله أعاننا لأننا ضعفاء، ولا نستطيع أن نعمل شيئاً «لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو١٥ : ٥) ، هكذا قال السيد المسيح .

فنحن نشكر الله لأنه سترنا وأعاننا . من جهة ، ستر على خطايانا وأخفاها . ومن جهة أخرى ، أمسك بأيدينا وأقامنا ، وجعلنا نعمل خيراً .

أعمالنا : إما شر ، وإما خير . بالنسبة للشر، نقول «سترنا» وبالنسبة للخير، نقول «أعاننا»، لأنه لولا أنه أعاننا ما كنا نستطيع أن نعمل أى عمل خير.

كل عمل طيب تعمله ، يدل على أن هناك معونة من النعمة أمسكت بيدك. لولا هذه المعونة، ما كنت تستطيع أن تعمل شيئاً. والله يحب أن يعيننا، و يكره أن نعتمد على معونة بشرية «ملعون الرجل الذى يتكل على الإنسان، ويجعل البشر ذراعه» (أر١٧ : ٥) . ـالله هو الوحيد الذى من عنده العون والمساعدةـ هو الذى أعاننا .

حاول أن تدخل كلمة «أعاننا» فى كل عمل من أعمالك، لكى ترجع الفضل لله فى كل شىء. وإن استطعت فى يوم أن تعمل أى عمل من أعمال العبادة ، قدرت أن تصلى ، أو تتأمل ، أو تقرأ، أو تضرب مطانيات ، أو تصوم... قل : اشكر الله لأنه أعاننا .

لكن الإنسان الذى ينسى أو ينكر معونة الله، هذا يقع فى الكبرياء، و يظن أنه بقوته وذراعه استطاع أن يعمل شيئاً.

تلميذ ينجح . تقول له «مبروك» يقول لك إننى ذاكرت مذاكرة جبارة، و ينسى كلمة أعاننا ، وبذلك يقع فى المجد الباطل. إذا ذكرت معونة الله، يمكن أن يديمها عليك باستمرار.

قال ماراسحق «لا توجد موهبة بلا زيادة إلا التى بلا شكر».

إذا لم تشكر الله على معونته، يرفع معونته عنك، لكى تشعر بضعفك. ولما تشعر بضعفك، تدرك أنك لما كنت قائماً على قدميك، كانت معونة من الله. فلنشكر صانع الخيرات، لأنه أعاننا وعرفنا طريقه، أعاننا وكشف لنا إرادته، وأعاننا وأعطانا أن نعبده، وأعطانا أن نعمل شيئاً به، فى شركة روحه القدوس. فلنشكر صانع الخيرات الرحوم الله... لأنه سترنا وأعاننا وحفظنا.

وحفظنا

من جهة خطايانا، نقول نشكر الله لأنه سترنا. ومن جهة حياة البر التى نسلك فيها أمام الله، نقول أعاننا. وبعد ذلك نقول «وحفظنا» لأننا نعيش فى حفظ الله «إسم الرب برج حصين، يركض إليه الصديق ويتمنع» (أم١٨: ١٠).

فالله حفظنا. ونحن لا نستطيع أن نحفظ أنفسنا. «حافظ الأطفال هو الرب» (مز١١٤: ٥). والمقصود بالأطفال هم الناس الذين يسلكون كأطفال أمام الله. أنت تقدر أن تمشى وحدك فى ميدان واسع. وتستطيع أن تتحفظ من السيارات. لكن



الطفل الصغير لا يستطيع أن يمشي وحده، وتجده يمسك بيد والده، ويشعر أنه لا يقدر أن يمر إلا وهو فى يد أبيه ...

كذلك نحن فى حياتنا على الأرض بهذا الشكل: إن سلكنا كأطفال، نشعر أنه بدون الله ليست لدينا القوة التى نحفظ بها أنفسنا. ولكن الرب هو الذى يحفظنا.

الله هو الذى يحفظ الناس، وهو الذى يرعاهم، لأنه هو الراعى الصالح. الخراف تكون موجودة، وغير مسئولة عن حماية نفسها. فنحن نقول نشكر الله لأنه حفظنا.

ولكن إن كنا نحن لم نقع فى الخطية، فلنشكر الله لأنه حفظنا. هو الذى حفظنا، ومنع عنا الشر. **وهو الذى منعنا عن أن نقع فى التجربة. أو أثناء الخطية أعطانا قوة من الداخل، أو جعل موانع من الخارج لم تسمح بأن نخطىء ...**

خطاياك على نوعين: خطية وقعت فيها فعلاً، وتشكر الله لأنه سترك، وخطية لم تقع فيها بعد، وتشكر الله لأنه حفظك منها ومن الوقوع فيها. فإذا كنت أنت سائراً فى بر أمام الله، لا تفتخر وإنما قل نشكر الله لأنه حفظنا. لولا أن الله حافظ علينا لكنا سقطنا. الذين سقطوا لم يكونوا أضعف منا. هناك جبابرة قد سقطوا. **والخطية «طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء» (أم ٧: ٢٦).**

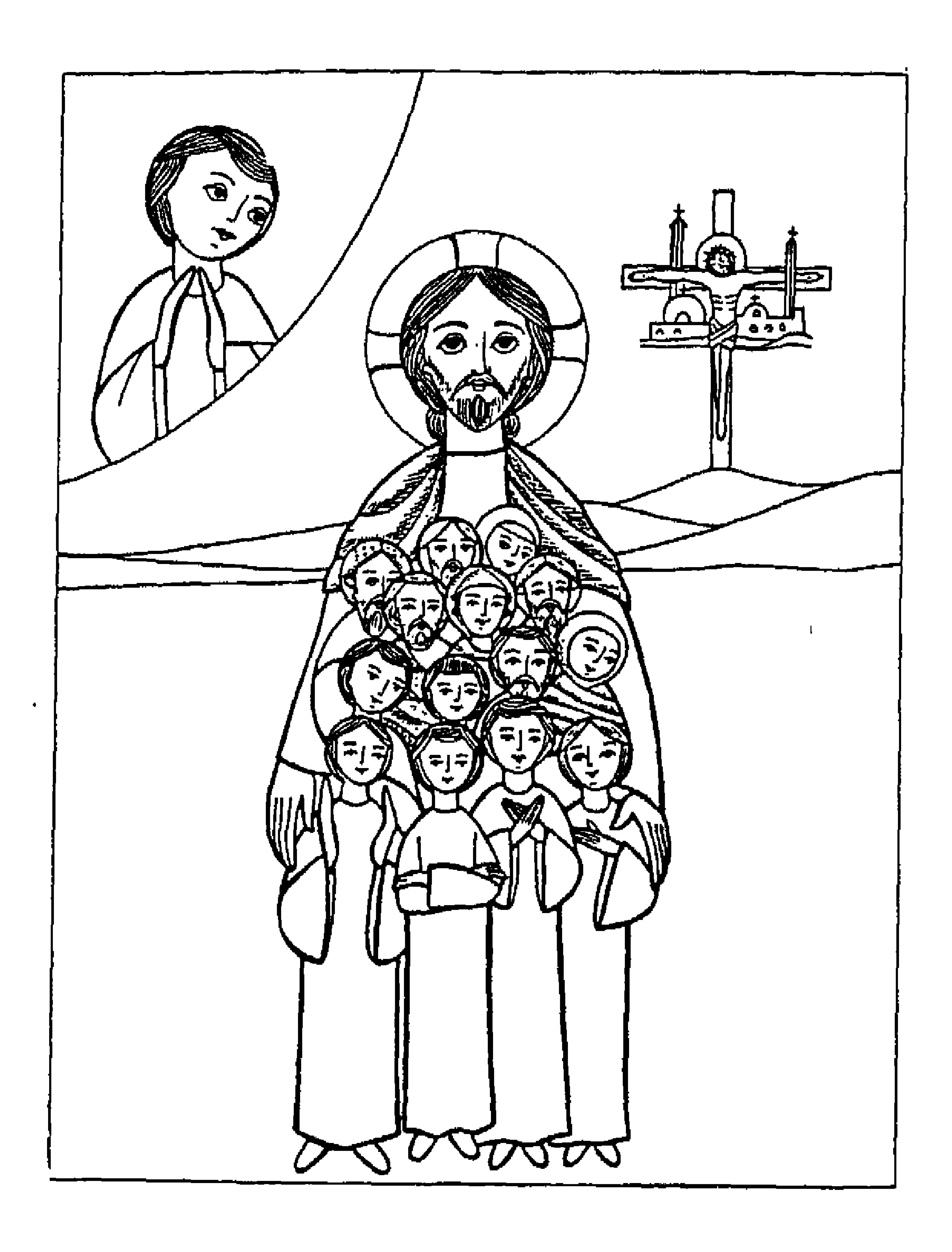
وقبلنا إليه

نشكر الله لأنه حفظنا وقبلنا إليه . كلمة « قبلنا إليه » عبارة لطيفة جداً . **لأنه لما نخطيء في حق الناس يرفضوننا .** إن تكلم واحد منا عن غيره كلمة غير لائقة يقول « لا أريد أن أرى وجه هذا الإنسان مرة أخرى » وحتى إن جاء ذلك الأخ ليعتذر إليه ، قد يرفض مقابلته .

ونحن نخطيء أمام الله خطايا عديدة . نتحدى سلطانه ، ونجدف عليه ، ونكسر وصاياه ، وننجس أقداسه وهيكله . ثم نقف أمامه ونقول له « أبانا » ! أهذه تصرفات أولاد الله ؟

ولكن نشكر الله لأنه قبلنا إليه ، على الرغم من كل تعدياتنا ، على الرغم من كل سقطاتنا ونجاستنا . إن الله يقبلنا إليه و يقول « من يقبل إليّ لا أخرجه خارجاً » (يو٦ : ٣٧) .

ربنا طويل الأناة ، باستمرار فاتح ذراعيه « لا يخاصم إلى الأبد ولا يحقد إلى الدهر » (مز١٠٣) . نشكره لأنه قبلنا إليه . مجرد وقوفنا أمام الله ، مجرد أن الله يرضى أن يسمع صلواتنا ، مجرد أن الله يدخلنا إلى بيته أو هيكله ، مجرد أن الله لا ينزع روحه منا ، كل هذه الأشياء نشكره عليها لأنه قبلنا إليه .



أنت يارب طيب . مهما أخطأنا فى حقك ، لا تزال تقبلنا إليك. **الناس لا يقبلوننا مع أنهم أشرار مثلنا. لكن أنت القدوس الكلى القداسة تقبلنا إليك. أنت بإستمرار فاتح ذراعيك.**

أشكر الله يا أخى من أجل هذا ، كلما تكثر خطيتك أمامك ، كلما تشعر أن خطيتك بشعة فى عينيك ، وعلى الرغم من كل ذلك ترى الله لايزال يحتفظ بك كإبن.

إنه قال عن الابن الضال الذى ترك بيته وبدد أمواله «ابنى هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد» (لو١٥ : ٣٢). ما هذا يارب حتى وهو ميت وضال تعتبره إبنك ؟! ... «نعم أعتبره ابنى. بل أن الله لما رأى ذلك الإبن من بعيد تحنن وركض وعانقه وقبله. كل هذا يدعونا أن نشكر الله لأنه يقبلنا إليه.

لم يصنع معنا كحسب خطايانا ، ولم يجازنا حسب آثامنا.
لأنه مثل ارتفاع السموات فوق الأرض ، قويت رحمته على خائفيه. كبعد المشرق عن المغرب ، أبعد عنا معاصينا. كما يتراءف الأب على البنين، يتراءف الرب على خائفيه» هكذا قال داود (مز١٠٣ : ١٠- ١٣). فنحن نشكر الله لأنه قبلنا إليه.

ولعل أحداً يسأل هل كل خطية لها مغفرة ؟

في إحدى المرات سأل أخ أحد القديسين عن هذا الموضوع فقال له : إن الله يأمر أن تغفر لأخيك إذا أخطأ إليك فى اليوم ٧ مرات سبعين مرة. **فإن كنت أنا الإنسان البشرى ممكن أن أغفر لأخى ٧٠×٧ فى اليوم الواحد، فكم بالأولى الله الذى لا تنتهى مراحمه؟!**

إن الله حينما يقبلنا إليه إنما يجعلنا نخجل أمام أنفسنا، لأن ربنا لا يكافىء الشر بالشر، وإنما يعامل الخطاة بتحنن، و يعاملنا بشفقة، لا يصنع معنا حسب خطايانا.

فلنشكر صانع الخيرات لأنه سترنا وأعاننا وحفظنا وقبلنا إليه وشفق علينا وعضدنا.

وشفق علينا وعضدنا

الله يشفق علينا لأنه يعرف ضعفاتنا، يعرف طبيعتنا الطينية التى نحن فيها. الله يأخذ موقف الشفقة، أما نحن فباستمرار نقف موقف القضاة.

كل واحد فينا يهوى أن يلبس رداء القضاة ويحكم: فلان قد أصاب، وفلان قد أخطأ، فلان هذا يستحق، بينما ذاك لا يستحق. لكن ربنا يعامل بالحنو والشفقة والطيبة.

هذه الأشياء كلها تجعلنا نحن أيضاً مجبرين أن نعامل بالمثل ، **كما قبلنا الله إليه ، ينبغي أن نقبل الناس ، وكما أشفق علينا ، ينبغي أن نشفق على الناس .** وكما سترنا ينبغي أن نستر الناس وهكذا في باقي الطلبات .

نشكره أيضاً لأنه عضدنا ، أي قوانا وأيدنا في كل ما نفعله . ونشكره لأنه أتى بنا إلى هذه الساعة .

وأتى بنا إلى هذه الساعة

لما تشكر ربنا لأنه أتى بك إلى هذه الساعة ، اشعر أن حياتك كان من الممكن أن تنتهي في أي لحظة . حياتك منحة تتجدد يوماً بيوم ، وساعة بساعة ، وثانية بثانية . أشكر ربنا لأنه أتى بك إلى هذه الساعة ، لو كنت مت وأنت ترتكب خطية معينة ، ترى أي مصير كان سيدركك ؟! وما أكثر الأمثلة على الميتات الفجائية .

نشكر الله لأنه أتى بنا إلى هذه الساعة - مد في عمرنا حتى الآن . لم يأخذنا في خطيتنا . لم يجعل الأرض وقتها تفتح فاها وتبتلعنا ، كما فعل مع قورح وداثان وابيرام . لم يجعل النار تنزل من السماء وتحرقنا كما فعل مع سادوم . هل تظنوا أن خطايا هؤلاء الناس أصعب من خطايانا ؟ من قال ذلك ؟

ومع ذلك فإن الله لم يعاملنا حسب خطايانا ـ لم يعاقبنا كما عاقب الباقين ، وإنما أتى بنا إلى هذه الساعة .

وليس ذلك فقط ، بل أتى بنا إلى ساعة الصلاة هذه ، إلى ساعة التأمل هذه ، إلى ساعة الشكر هذه. وأوقفنا أمامه نصلى ونشكر ونتضرع إليه . ما أكثر فضلك يارب . لو كنت أخذتنى فى الساعة الفلانية ، حينما كنت أرتكب الخطية الفلانية ، كنت ضعت . لكن أنت مددت فى عمرى ، وأتيت بى إلى هذه الساعة ، **فلتكن هذه الساعة مقدسة ومباركة لك. فلتكن هذه الساعة بداية حياة جديدة أبدؤها معك.**

شكر الله فى الماضى ، يشجعنا من جهة حياة المستقبل ونحن نشكر الله لأنه أتى بنا إلى هذه الساعة ، بعد ذلك نقول :

هو أيضاً فلنسأله أن يحفظنا فى هذا اليوم المقدس

ستر الله علينا فى القديم ، يشجعنا أن نطلب منه الستر فى المستقبل . **صحيح أن ربنا كان معنا فى القديم . ولكن إذا تخلى عنا الآن ، ضعنا .** ماذا تفيد حياتنا القديمة مهما كانت مملوءة بالبر والقداسة والتعفف ، إن كنا اليوم نسلك فى طريق الخطية ؟!

المهم هو حاضرنا ومستقبلنا لذلك نقول : هو أيضاً فلنسأله أن يحفظنا فى هذا اليوم المقدس وكل أيام حياتنا .

كثيرون بدأوا حياتهم بداية مقدسة، وأنتهوا إلى نهاية شريرة. بولس يقول: «لأن كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً والآن أذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح الذين نهايتهم الهلاك الذين إلههم بطونهم ومجدهم فى خزيهم الذين يفتكرون فى الأرضيات» (فى٣: ١٨- ١٩). وكثيرون بدأوا بالروح وكملوا بالجسد (غل٣: ٣).

سليمان الحكيم بدأ حياته بداية طيبة. ولكن فى آخر أيامه بخر للأصنام (١مل ١١)، مع أنه مملوء حكمة، وقد أعطى حكمة وفهماً أكثر من جميع الناس! لذلك نطلب من الله- كما حافظ علينا فى القديم- أن يحافظ علينا أيضاً فى المستقبل.

وهو أيضاً فلنسأله أن يحفظنا فى هذا اليوم المقدس. لماذا نقول اليوم المقدس؟ **لأن كل يوم من أيام حياتنا هو يوم مقدس. حياتنا كلها هى حياة مقدسة يملكها الله. لأننا أشترينا بثمن (١كو٦: ٢٠)، إننا هياكل للروح القدس، والروح القدس ساكن فينا (١كو٣: ١٦). كل يوم من أيام حياتنا هو يوم مقدس، لأنه ملك الله.** فلنسأله أن يحفظنا فى هذا اليوم المقدس وكل أيام حياتنا.

وكل أيام حياتنا

لا نطلب أن يحفظنا الله فى يوم معين، وإنما كل الأيام، **فلنطلب أن يحفظنا الله كل أيام حياتنا، لأن يوماً واحداً يمكن أن يضيع الحياة كلها. خطية يوم واحد يمكن أن تتلف الحياة كلها. كل ما تبنيه طول عمرك، يمكن أن تهدمه فى يوم واحد، فيضيع تعبك كله كأن لم يكن.** لذلك نطلب من الله أن يحفظنا يوماً بيوم، لأننا بدون حفظه لنا نشابه الهابطين فى الجب.

نطلب من الله أن يحفظنا فى هذا اليوم، لأننا لا نعرف ما هى التجارب التى تصيبنا منه، ولا هى الشرور والعثرات التى ستصادفنا، ولا من هم الناس الأشرار الذين سنقابلهم، ولا ما هى الخطية التى طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء (أم٧: ٢٦). المسألة تحتاج إلى حفظ من الله فى هذا اليوم المقدس وكل أيام حياتنا حتى تنتهى غربتنا بسلام.

فى سيرة القديس مكاريوس نجد أنه كان حريصاً حتى آخر لحظة، لدرجة أنه لما فارقت روحه جسده طاردته الشياطين قائلة «قد خلصت يا مقارة». فقال «لا أعرف بعد». كان

خائفاً من أن روحه يسقطها شيطان الكبرياء وهى خارج الجسد .

ولكنه ـ لما وصل إلى داخل الفردوس ـ حينئذ استطاع أن يقول «إننى الآن برحمة الله قد خلصت » ! فلنسأله إذن أن يحفظنا كل أيام حياتنا بكل سلام الضابط الكل الرب إلهنا .

بكل سـلام

ليتنا نترجم الكلمة **« بكل سلام »** .

بدلاً من « بكل سلامة » فهذه هى الترجمة السليمة . نطلب أن نعيش فى سلام : **من جهة علاقتنا بأنفسنا ، وعلاقتنا بالناس ، وعلاقتنا بالله** . أحفظنا فى هذا اليوم المقدس فى سلام . أى سلام مع أنفسنا ، غير منقسمين على ذواتنا . وفى سلام الناس ، لسنا فى غضب ولا حقد ولا خصومة مع أحد . وسلام مع الله .

الضـابط الكل الرب إلهـنـا

إنه ضابط الكل ، مسئول عن الكل . هو الذى خلقنا وهو الذى يحفظنا .

بعد هذا السلام ماذا يجب أن نقول ؟ نوجه طلباتنا ونقول « نشكرك يارب » ونكرر نفس العبارات .

فى الأول دعوة إلى الشكر: «فلنشكر». ثم نقول «نشكرك» أى نقوم بواجب الشكر فعلاً. وعلى أى شيء نشكر؟ نشكر:

على كل حال ومن أجل كل حال وفى كل حال

ينبغى أن يكون الشكر عادة لنا، نقابل بها أعمال الله كلها. ليس هناك أعمال نشكر الله عليها، وأعمال نتذمر منها، لا، لابد أن نشكره على كل شيء، ليست هناك أمور نشكر الله عليها، وأمور نتعب منها ونبكى. لا، **الإنسان الروحى يشكر على كل حال لأن «كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله»** (رو٨: ٢٨).

الشخص الذى يحب الله، يجد فى كل شيء خيراً وبركة،

ولعل البعض يسأل: وماذا عن المصائب؟

نجيب: كان ممكناً أن تكون المصيبة أشد وأصعب. ونشكر الله أنها وصلت إلى هذا الحد فقط!

مثال لذلك:

لنفرض أن شخصاً استقل عربته، ولم تحدث له حوادث، يشكر الله طبعاً. فإن حدثت له حادثة يشكره أيضاً: فالحادثة التى تسببت فى رضوض، كان يمكن أن ينتج عنها كسر أو بتر، ألا

يستحق هذا شكراً ؟! والحادثة التى كانت نتيجتها البتر، كان ممكناً أن تتسبب فى وفاة. فلنشكر الله على حفظه للحياة.

وحتى إن مات، يشكر الله الذى أطلقه من هذا العالم، ليتمتع بالأبدية السعيدة. ولم يجعل نهاية حياته بمرض متعب، يستمر عذاباته مدى زمنياً طويلاً بلا شفاء...

إننا نشكر، عندما نقارن حالنا بما هو أسوأ.

أما إن قارناه بما هو أفضل، فقد نتذمر...!

أيضاً من مشاكلنا فى عدم الشكر أمران:

أ - أننا نقسم الأمور إلى جيد وردىء. فنتعب من الأمور الرديئة. وقد نشكر على الحسنة، وقد لا نشكر...

ب - إننا نقسم أيضاً الأمور الجيدة إلى كبيرة وبسيطة. فنشكر على الخير الكبير، ولا نشكر على الخير الذى نحسبه بسيطاً !! بينما الكل يحتاج إلى شكر.

أليس مخجلاً أن نحسب بعض الخيرات بسيطة لا تستحق الشكر؟!

مثال ذلك: نحن جالسون الآن فى هذا الاجتماع، والنور الكهربائى مضىء بلا إشكال. هل شكرنا الله على هذا؟! ألا نذكر أنه فى أحد الأيام أنقطع النور، وتعطل الميكروفون، واستمر

انقطاع التيار الكهربائى حتى السابعة إلا ربع ، وكاد الاجتماع يفشل... ثم لما عاد التيار الكهربائى شكرنا الله...

أترانا نشكر على وجود النور حالياً ؟ أم أننا لا نشكر إلا على وجود النور حالياً ؟ أم أننا لا نشكر إلا إذا أنقطع التيار وعاد ؟!

لاشك أن هناك أشياء كثيرة لا نشكر الله عليها ، وذلك لأننا نظن أنها لا تستحق الشكر!

مجرد أنك تسير يا أخى على قدميك أمر يستحق الشكر، لأن هناك أشخاصاً لا يتمكنون من السير على أقدامهم... مجرد أنك جالس ، أمر يستحق الشكر، لأنه يوجد أناس نائمون الآن على فراش المرض...

حقاً إن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء ، لا يشعر به إلا المرضى . والأصحاء لا يشكرون !!

أنت يارب تستحق الشكر على كل شىء : على النعم التى نراها ، والنعم التى لا نشعر بها . تستحق الشكر على كل حال... لأنك سترتنا وأعنتنا وحفظتنا ، وقبلتنا إليك ، وأشفقت علينا وعاضدتنا ، وأتيت بنا إلى هذه الساعة .

مـن أجل هــذا :
نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر

من أجل أنك عملت معنا كل هذا ، نسأل ونطلب ...

إن نعمك القديمة تشجعنا على أن نطلب شيئاً جديداً.

حنانك القديم شجعنا أن نقترب إليك... من أجل أنك طيب وحنون وشفوق ، ومن أجل أنك تحافظ علينا ، ومن أجل الماضى كله ، نحن نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر...

كل تصرفاتك معنا تدل على أنك محب البشر، بل أنك أنت نفسك المحبة. والله محبة. نحن نطلب من صلاحك يا محب البشر، ليس لأننا نستحق... كلا ، بل أننا نطلب من أجل أنك محب وصالح. نطلب أن نكمل هذا اليوم المقدس وكل أيام حياتنا فى مخافتك.

أمنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس

الإنسان وهو يصلى هذه الصلاة ، يشعر أن كل يوم يمر عليه عبارة عن نعمة من الله أعطيت له. **نحن لا نستطيع بقوتنا ولا بإرادتنا أن نكمل يوماً واحداً فى مخافة الله**، إن لم يكن هذا عملاً من أعمال نعمة الله القدوس. لأنه قال «بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً» (يو١٥ : ٥).

فنحن نقول له : يارب أعطنا يوماً من عندك ، يوماً صالحاً مقدساً ، نكمله بعمل روحك القدوس فينا. وطبعاً روح الله لا

يعمل فى الإنسان الذى لا يريد أن يعمل.

الله لا يرغمنا على المعيشة معه، وإنما حياتنا كلها عبارة عن شركة مع الروح القدس. الروح القدس يشترك مع إرادتنا فى انقاذ أنفسنا من الهلاك.

لو أن الروح القدس تخلى عنا، لا يمكن أن نخلص. ولو إرادتنا رفضت أن تعمل مع الروح القدس، لا يمكن أيضاً أن نخلص. لأن الله لا يرغم إنساناً على السير فى طريقه.

«أمنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس». لتكن هذه يارب هبة منك، منحة، عطية مجانية من عندك، أن نكمل هذا اليوم فى مخافتك، فيكون يوماً مقدساً...

إننا نعتبر كل يوم من أيام حياتنا يوماً مقدساً.

لأن حياتنا كلها مقدسة للرب. ملك له لأنه اشتراها بدمه

كل يوم من أيام حياتنا، بل كل ساعة منها هى ساعة مقدسة. كل دقيقة، كل لحظة فى حياتنا، هى أيضاً مقدسة. لأن حياتنا ملك للرب الذى قدسها بدمه الطاهر. **حياتنا ليست ملكاً لنا حتى نتصرف فيها كما نريد.** إنها ملك للرب، والرب هو المتصرف فيها لا نحن.

لسنا نقول فقط «امنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس» بل أيضاً «وكل أيام حياتنا».

وكل أيام حياتنا

ليس هذا اليوم فقط ... **فمن الجائز أن نسلك اليوم حسناً، ونخطىء غداً. ونهلك!! من يعرف.**

أنت لا تعرف يا أخى حياتك كيف تنتهى، فطالما أنت فى الدنيا، لابد أن تكون محترساً وخائفاً. كثيرون كانوا جبابرة فى الروح، ولم يكملوا حسناً.

لذلك نحن نذكر القديسين الذين كملوا حياتهم فى الإيمان ونقول هكذا فى المجمع:

ⲉⲧⲁⲩϫⲱⲕ ⲉⲃⲟⲗ ϧⲉⲛ ⲫⲛⲁϩϯ

أى الذين كملوا فى الإيمان. أوعى تعتبر أنك النهاردة كويس، وتقول أنا بقيت قديس. جايز بكره تفقد قداستك! وما أدراك ؟! لذلك نحن نقول «أمنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس، وكل أيام حياتنا».

القديس يوحنا القصير. عندما كان يرى شخصاً يخطىء، كان يبكى عليه ويقول **« هذا الشخص أخطأ اليوم وقد يتوب، وربما أخطىء أنا غداً ولا أتوب » !!**

ماذا أدرانا كيف تكون النهاية ... !

إننا نقرأ عن إثنين : أحدهما كان لصاً والثانى تلميذاً من تلاميذ السيد المسيح .

اللص ذهب إلى الفردوس ، وتلميذ المسيح هلك ومات منتحراً !

من أجل هذا يجب أن نحترس إلى النهاية ، كما يقول الكتاب «أنظروا إلى نهاية سيرتهم وتمثلوا بإيمانهم» (عب ١٣ : ٧) . ولا يصح أن نغتر بيوم صالح مر علينا .

هناك أشخاص إذا مر عليهم يوم صالح ، يظنون أنها درجة روحية قد صعدوا إليها ، ولن ينزلوا منها ثانية .

فيقول الواحد منهم : إن الخطية الفلانية قد ابطلتها وانتهت من حياتى . من قال أنها إنتهت ؟ أليس من الجائز أنك ابطلتها اليوم ، وتحارب بها غداً ؟! أو أبطلتها هذه السنة ، وتسقط فيها فى السنة المقبلة . صلِّ إذن أن يجعل الرب يومك هذا مقدساً ، وكل أيام حياتك أيضاً ...

احسب أيام حياتك ، باليوم . واعرف وأنت تصلى هذا الجزء من صلاة الشكر ، **إن كل يوم يمر عليك لن يرجع ، مهما بكيت عليه بدموع وندمت** . مهما بكيت عليه بدموع ومهما ندمت عليه بدموع . لا يمكن أن يرجع ثانية . إنه يوم من أيام حياتك قد ضاع وقبر فى الأ بدية ، ولا يعود مرة أخرى .

لذلك انقذ أيام حياتك ! انقذها باليوم .

إن الله يحسب حياتك باليوم ، فيقول « اذكر خالقك فى أيام شبابك » (جا ١٢ : ١) . لا تجعل ولا يوم من أيام حياتك يفلت . « امنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس وكل أيام حياتنا » ... لذلك نصلى ونقول : لا تسمح يارب بأن يوماً واحداً من أيام حياتنا يكون عاطلاً عن النعمة ، أو أن يكون مقفراً من عمل الخير. أو أن يكون ملكاً للشيطان .

عندما تخرج روحك من جسدك أيها الأخ ، ويمسك بها الشيطان ، ويقول لها «تعالى نتفاهم من جهة أيام حياتك على الأرض : هل كانت ملكك أم ملكى ؟ » ...

من يعرف ؟ ربما كانت كلها ملكاً له !! ربما يقول لك الشيطان : كل يوم من أيام حياتك كان ملكاً لى . هل حدث أن يوماً من أيامك لم أدخل فيها ؟ ، هل مرّ عليك يوم بدون خطية وبدون طاعتى ؟!

كل يوم من أيامك دخلت فيه ، كما يدخل الخيط فى حبات المسبحة !!

يا للهول ! لذلك صلّ باستمرار وقل : امنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس ، وكل أيام حياتنا ...

البعض يظن أن الحكم على أيام حياتنا يكون بالميزان : توضع أيام الشر فى كفة ، وأيام الخير فى كفة . و يرى الله أيهما يرجح !! كلا ، فهذا لن يحدث .

فمن الجائز أن يوماً واحداً من حياتك، يضيع الحياة كلها !!

هل كان أبونا آدم يخطىء كل يوم ؟! كلا ، كانت حياته فى الجنة كل بر وبساطة ، لا يعرف فيها شراً ... وكذلك كانت حياة أمنا حواء ... ولكنهما فى يوم واحد أكلا من الشجرة ، فانتهت كل سيرتهما فى الجنة !

كلها ضاعت !! ضيعها يوم واحد ، بل ربما ساعة واحدة ، وربما دقيقة أو لحظة .

فنان عظيم يمسك لوحته و يبدأ أن يرسم عليها رسماً جميلاً جداً ... لوحة فنية رائعة ، أنفق شهراً فى ابداعها ... ثم فى لحظة انسكبت عليها زجاجة حبر. ألا تكون هذه اللحظة الواحدة قد أضاعت تعب الشهر كله ؟! ...

لذلك نحن نصلى ونقول : امنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس وكل أيام حياتنا **بكل سلام** مع مخافتك .

أعطنا أن نكمل هذه الأيام بكل سلام :

بكل سلام

سلام بيننا وبين الله .

سلام بيننا وبين الناس .

سلام بيننا وبين أنفسنا .

سلام بين الجسد والروح . لا يشتهى الواحد منهما ضد الآخر. امنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس وكل أيام حياتنا بكل سلام .

مع مخافتك

كلمة «مع مخافتك» . كلمة جميلة ولطيفة . لماذا ؟ لأن البعض حينما يبدأ حياته مع الله ... أحياناً ينسى مخافة الله وسط محبة ربنا . و يقول المحبة تطرد الخوف إلى خارج .

صحيح أن الرسول يقول «المحبة الكاملة تطرد الخوف إلى خارج» (١يو٤ : ١٨) . **لكن من فينا وصل إلى المحبة الكاملة ؟! الذى وصل إلى المحبة الكاملة ، وصار العالم عنده مثل النفاية واستطاعت محبة الله فيه أن تحرق كل شهوة عالمية . مثل هذا لا يخاف .**

أما نحن فلم نصل إلى درجة الكمال هذه ... لم نصل إلى المحبة الكاملة التى فيها نحب الله من كل القلب والفكر

والإرادة ... مازال العالم له موضع فينا ، ولذلك نحن نخاف ...

يقول الرسول «سيروا زمان غبرتكم بخوف» (١بط ١: ١٧). وأيضاً «تمموا خلاصكم بخوف ورعدة» (فى ٢: ١٢). نخاف لأن «عدونا مثل أسد زائر يلتمس من يبتعله» (١بط ٥: ٨). نخاف لأن الخطية «طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء». نخاف لأن كثيرين بدأوا بالروح وكملوا بالجسد. نخاف لأننا لسنا أقوى من الجبابرة الذين سقطوا. لسنا أقوى من داود، لسنا أحكم من سليمان. لسنا أقوى من ديماس الذى أحب العالم الحاضر (٢تى ٤: ١٠). لسنا أقوى من الرسل والأنبياء الذين سقطوا. مين يعرف؟

امنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس بكل سلام مع مخافتك. لتكن مخافة الله فى أعيننا باستمرار. أى ليكن الخوف نوعاً من أنواع الهيبة والتوقير لإلهنا الصالح ...

إن الذى لا يخاف، يستكبر لذلك يقول الرسول «لا تستكبر بل خف» (رو ١١: ٢٢). امنحنا يارب أن نكمل كل أيام حياتنا فى مخافتك.

الإنسان الخائف الله لا يمكن أن يعمل خطية. قيل عن قاضى الظلم أنه شخص لا يخاف الله. الإنسان الذى لا يخاف

الله ، يستهتر و يسلك حسب هواه ولا يهتم ... لماذا لا نستطيع أن نرتكب الخطية أمام الناس ، ونخاف كلام الناس ، ونخاف أفكار الناس ، ونخاف فضيحة الناس ، أما الله فلا نخاف منه .

إن كل خطية نرتكبها ندل بها على أننا لا نخاف الله .

الشخص الذى يخاف الله هو الشخص الذى لا يرتكب خطية مهما كانت فى السر، مهما كان بعيداً عن أعين الناس . لأن الله موجود أمام عينيه ، فكيف يخطىء و يفعل هذا الشر العظيم أمام الله ؟!

لو تتبعتم كلمة الخائفين من الله ، تجدونها كثيرة فى الكتاب المقدس وبخاصة المزامير. مفروض أننا نخاف الشر، نخاف الخطية والسقوط، ونخاف ضعفنا لكن ليس الخوف خوف الجبناء، وإنما المخافة التى تدفعنا فى أن نتمسك بالله بالأكثر. ونحتاط أكثر، ونحترس أكثر. ونجاهد أكثر.

ليس خوفاً يدعو إلى اليأس والجبن ، وإنما مخافة تدعو إلى مزيد من الحيطة والاحتراس والجهاد والصلاة .

امنحنا أن نكمل هذا اليوم ... مع مخافتك ...

هنا خرج المصلى من الشكر إلى الطلب .

بدأ بالشكر ثم تحول إلى الطلب . ولما دخل فى الطلب طلب

أولاً ملكوت الله وبره. امنحنا أنك نكمل هذا اليوم... مع مخافتك. يطلب ملكوت الله، يطلب أن يعيش عيشة طاهرة فى مخافة الله.

وحينما تردد هذه الطلبة فى صلاتك، تذكر ما هى الأشياء التى من جهتها لا توجد مخافة الله فى قلبك؟ وما هى الأشياء التى فى حياتك تدنس هذا اليوم المقدس؟ تذكرها واعرضها أمام الله فى قولك «امنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس...». كذلك قل نجنى من كذا وكذا. وضع مخافتك أمامى فى كل حين.

كل حسد وكل تجربة وكل فعل الشيطان ومؤامرة الناس الأشرار وقيام الأعداء الخفيين والظاهرين أنزعها عنا وعن سائر شعبك وعن موضعك المقدس هذا.

بعدما شكرنا الله على كل حال ومن أجل كل حال وفى كل حال. بدأنا فى الطلبات لأنه لابد أن نشكر اولاً ثم نطلب. وفى طلبنا، نطلب من ربنا أن ينزع منا أشياء وهى:

كل حسد

أول شيء نطلبه هو أن يبعد الله عنا الحسد. لماذا؟ لأن الخطية دخلت إلى العالم بحسد ابليس. ونقول هكذا فى القداس **«والموت الذى دخل إلى العالم بحسد ابليس هدمته»**.

فابليس حسد الإنسان لأنه خلق على صورة الله ومثاله. وحسد الإنسان لأنه أصبح له مركز كبير فى الجنة، وسلطه الله على جميع الكائنات، جميع حيوانات الأرض، وطيور السماء وسمك البحر. وحسد الإنسان لأنه أخذ مجداً حرم هو منه. فدخل إلى العالم لكى يغرى الإنسان و يسقطه.

إن الحسد هو أول خطية دخلت فى قلب الشيطان من جهة الإنسان وبسببها جره إلى الموت. وعلى الأرض أيضاً بالنسبة لأولاد آدم، كانت أول خطية وقعوا فيها هى الحسد. فقايين حسد هابيل أخاه، ونتيجة لهذا الحسد قتله، واستمر الحسد فى نسل آدم.

عيسو حسد يعقوب لأنه أخذ البكورية. وحقد عليه، وطلب أن يقتله، **أخوة يوسف** حسدوا يوسف أيضاً. واستمر الحسد أيضاً حتى وسط القديسين. نجد أن **الرسل الإثنى عشر** غاروا من ابنى زبدى لما طلبت أمهما من المسيح أن يجلس واحد عن يمينه والآخر عن يساره. وأيضاً التلاميذ الإثنى عشر غاروا من يوحنا الحبيب، لما قال السيد المسيح عبارة فهموا منها أنه قد يستمر عائشاً إلى أن يجىء.

فالحسد موجود فى الإنسان موجود فى الشياطين ونحن لما نطلب من الله أن يبعد عنا الحسد **نطلب الإثنين معاً: أن يبعد عنا**

حسد الشياطين، وأن يبعد عنا حسد الناس.

نحن إما أن نعيش فى نجاح . أو فى فشل . إن عشنا فى فشل نتعب . وإن عشنا فى نجاح ، نتعرض لحسد الناس والشياطين . لذلك نطلب من الله أن ينزع عنا كل حسد وكل تجربة . لم نقل تجربة من الأول ، لأن الحسد هو الذى يجلب التجارب . والحسد أيها الأخوة له أسباب :

من ضمن أسباب الحسد : عدم المحبة : فلو وجدت محبة، ما وجد حسد. الشخص المحب يفرح بنجاح أخيه، ويسر ويمتلىء فرحاً إذا ارتفع اخوه ونال مركزاً سواء فى الروحيات أو فى العالميات . لكن الشخص المحب لنفسه ، المحب لمجد ذاته ، هذا يقع فى الحسد . فالحسد سببه عدم المحبة ، وسببه أيضاً الكبرياء ، ومحبة الذات ومحبة الارتفاع ، وهذه كلها موجودة فى العالم .

نقول كل حسد وكل تجربة .

نحن لا نخشى الحسد الذى يخاف منه الناس العاديون : أى ضربة العين!

طبعاً هذا كلام لا نقبله! إنما نقصد الحسد الذى يجلب لنا مشاكل أى أن الناس من غيرتهم، يتسببون فى مؤامرات

وسائس ضدنا . هذا الذى نقصده .

وعبارة « كل حسد » تعنى الحسد الروحى والحسد المادى :

فمن الجائز أن يحسدك إنسان ، لأنك تأكل اطعمة شهية أفضل منه . وآخر قد يحسدك لأنك تصوم أكثر منه . فمن الجهتين تلاقى حسداً ...

إن سرت فى الخطية ، وتمتعت بملاذ العالم ، تجد من يحسدك على ملاذ العالم . وإن تركت ملاذ الدنيا وعشت فى زهد ، تجد من يحسدك على الزهد .

فالحسد موجود على الرغم من اختلاف الاسباب .

فى احدى المرات اعجب شخص بإنسان ، وظل يمدحه كثيراً ويعدد فضائله . فقال له شخص روحى :

كفاك مدحاً له ، خوفاً من حسد الشياطين له !

لأن الشياطين حينما يسمعون مديحك له ، يحسدونه على بره ، ويحاولون أن يسقطوه ... فاتركه إذن بعيداً عن حسدهم ، لأنه مازال أمامه طريق طويل فى الجهاد الروحى لا نعرف نهايته . والمهم بالنسبة إلى القديسين هو « نهاية سيرتهم » (عب ١٣ : ٧) . فلا داعى للمديح الزائد ، لئلا تجلب له تجارب من حسد الشياطين ...

إن الشياطين يحسدون القديسين ، لأنهم لا يحبون أن يصل أحد

إلى الله ، وإلى النعيم الأ بدى الذى حرموا منه . ونحن نحترس من شر الشياطين وحسدهم ، أكثر مما نحترس من شر البشر وحسدهم . لذلك نطلب من الله أن ينجينا من حسد هؤلاء وأولئك .

هناك نوع ثالث من الحسد ، نطلب من الله أن ينقذنا منه . وهو حسدنا نحن للآخرين .

ليس الأشرار فقط هم الذين يحسدون . إننا نحن أيضاً ، أحياناً نحسد ... من منا لم يقع أحياناً فى الغيرة والحسد ؟! ولو فى بعض المناسبات ، لذلك نطلب من الله أن ينقذنا من مثل هذه المشاعر الخاطئة ...

قد يجلس معك شخص ، ويمدح إنساناً مديحاً كثيراً ، كما لو كان مثالاً يحتذى وربما إذا أكثر المدح ، تجد قلبك من الداخل يتحرك ، وتبدأ أفكار تحاربك : أترى هذا الشخص مغروراً فيه ، أم لا يعرفه كما ينبغى ، ولا يعرف نقائصه ؟!

يقيناً لو كنت تحب ذلك الشخص من أعماقك ، لكنت تفرح بما تسمع عنه من مديح .. ربما بعض الحسد دخل إلى قلبك .

والكتاب يقول إن المحبة لا تحسد (١كو١٣ : ٤) .

نحن إذن نطلب من الله أن يبعد عنا ثلاثة أنواع من الحسد :

أ ـ حسد الشياطين لنا .

ب ـ حسد الناس الأشرار لنا .

ج ـ حسدنا للآخرين فى كل صورة .

وما الذى نطلبه أيضاً أن يبعده الرب عنا ؟

وكـــل تجـربـة

فى الصلاة الربانية نطلب أيضاً ونقول لله «لا تدخلنا فى تجربة» . والمسيح نفسه هو الذى علمنا الصلاة الربية وقال لنا قولوا «**لا تدخلنا فى تجربة**» وأيضاً قال «**اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة**» (مر١٤ : ٣٨) . ونحن نطلب من الله أن يبعد عنا كل حسد وكل تجربة .

ما رأيكم إذن فى قول الكتاب «احسبوه كل فرح يا اخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة» (يع١ : ٢) . كيف تكون التجارب مفرحة لنا ، بينما نطلب من الله أن يبعد عنا كل حسد وكل تجربة ؟!

نقول لا تدخلنا التجارب : أولاً بدافع الإتضاع والانسحاق . بمعنى أننا لسنا فى مستوى الانتصار على التجارب .

التجارب لها إحدى نتيجتين : إما أن ينتصر الإنسان فيها ويتمجد ، وإما أن يسقط بسببها ويفشل . ونحن لا نضمن

النتيجة. ربما نكون من النوع الثانى!

لذلك نقول له : نحن أمامك يارب . لسنا ندعى أننا أقوياء . ولسنا أقوى من الذين سقطوا ، بل كم سقطنا من قبل . لذلك أن نطلب منك أن تبعد عنا التجارب ...

أخشى أن يغتر أحد بنفسه ، و يدعى لنفسه القوة والقدرة فى الصمود أمام كل تجربة . و يقول للرب فى صلواته « هات يارب من التجارب ما تشاء . معك رجل . إبنك قادر و يستطيع » !!

كلا يارب ، ابعدها عنا ، فإننا ضعفاء .

أما إن شاءت محبتك ورحمتك أن تصادفنا تجربة ، تراها حكمتك لخيرنا ، فحينئذ سنحسبه كل فرح حينما نقع فى تجارب متنوعة ...

من النوع الذى معه المنفذ ومعه الحل ، ومن النوع الذى هو فى مستوى احتمالنا وليس فوق ما نطيق ، هذا الذى قال عنه الرسول :

« ولكن الله أمين ، الذى لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون ، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا » (١كو١٠ : ١٣) .

أو تكون التجربة من النوع الذى يؤول إلى خيرنا روحياً ، وتكون معه نعمة حافظة . هذه هى التجارب المتنوعة التى نفرح

بها ، والتى يمسك الرب فيها بيميننا حتى لا نتزعزع .

« كل حسد وكل تجربة » . والتجارب على أنواع :

تجارب روحية : كأن يجربنا الشيطان بشىء ليسقطنا فى الخطية . حاول الشيطان أن يجرب المسيح ليسقطه ولم يتمكن . وخدع آدم وحواء فسقطا . هذه تجارب روحية .

وهناك تجارب أخرى مثل التجارب التى تعرض لها أيوب الصديق . **تجارب فى الأولاد والصحة والمال**، أشياء كثيرة من هذا النوع . أما نحن فنقول « كل حسد وكل تجربة » سواء تجربة روحية أو عالمية . نجنا من كليهما . فنحن أضعف من هذه ومن تلك .

وكل فعـــل الشـيطان

لأن الشيطان كما يقول القديسون فتال حبال . **إنه يفتل حبالاً ويعمل شباكاً، لكى يوقع الناس فى شباكه . إنه ينصب فخاخاً ونحن نطلب من الله أن ينجينا من كل فعل الشيطان، لكى نغنى مع داود ونقول « الفخ انكسر ونحن نجونا . مبارك الرب الذى لم يسلمنا فريسة لأسنانهم » (مز ١٢٤ : ٧) .**

كما فعل الشيطان سواء كان فعلاً مباشراً من الشيطان،

أو كان الشيطان مجرد وسيط فيه. كأن يتكلم على لسان أحد البشر، أو يسلط علينا أحداً من البشر. سواء اشتغل بنفسه أو أشرك الناس الأشرار معه. كل فعل الشيطان.

الكنيسة تصلى باستمرار أن ينجينا الرب من فعل الشيطان. حينما يعتمد إنسان فإن الكنيسة تدهنه بزيت الغاليلاون وتطلب أن يمنع الله عنه كل حيل وتجارب الشيطان، وكل فخاخ الشيطان، وكل مكر الشيطان. **لأن الشيطان يستطيع أن يظهر فى هيئة ملاك نور، ويستطيع أن يخدع كثيرين. إن لم يخدع بضربة شمال، يخدع بضربة يمين.** إن لم يقدم لك الخطية حلوة وشهية، يقدم لك البر فى أسلوب فوق طاقتك، ويحاربك به، ويوقعك به فى المجد الباطل. يحارب على كل حال، لكى يسقط على كل حال قوماً.

نحن نطلب من الله أن ينجينا من كل فعل الشيطان. فإن الله أقوى من الشيطان، **ولأن الشيطان لا يستطيع أن يتصرف من تلقاء ذاته، بل فى كل تجربة يأخذ سماحاً من الله.**

عندما أتى الشيطان بكل قوته وضرب أيوب الصديق، أتى أولاً بسماح من الله. فمادامت المسألة واقعة فى يد ضابط الكل، ومادام الشيطان لا يستطيع أن يتصرف من ذاته، إن لم يأخذ سماحاً، فنحن نطلب من الله ضابط الكل هذا، أن لا يسمح له،

وإن سمح ينجينا من الشيطان .

نحن لا نخاف الشيطان كقوة قائمة بذاتها ، فالوثنيون قديماً كانوا يظنون أن هناك إلهين : إله للخير وإله للشر. أما الكنيسة فلا تؤمن بأفكارهم ، فليس هناك إله للشر. لا يوجد الشيطان كقوة قائمة بذاتها ، تعاكس الله ... الشيطان أيضاً من خليقة الله . غير أن الله لم يخلقه شيطاناً ، بل ملاكاً . وهو الذى حول نفسه إلى شيطان . فمادام هو خليقة من خلائق الله ، **ومادام هو تحت سلطان الله ، فنحن نطلب من الله - الذى هو خالقه ومسيطر عليه - أن ينجينا من أفعاله .**

الشياطين ضعفاء أمام قوة الروح العامل فيكم .

القديس العظيم الأنبا أنطونيوس كلم أولاده فى مقالة طويلة عن ضعف الشياطين وخوف الشياطين ، وأنه لا يصح أن نخاف منهم . بل هم الذين يخافون منا . مقالة طويلة نشرها القديس أثناسيوس الرسولى فى كتابه عن حياة الأنبا أنطونيوس .

لذلك فإن القديسين كانت لهم سيطرة عجيبة على الشياطين . كانت لهم قوة . كانت الشياطين تخاف منهم ... فلا تخافوا من الشيطان .

فإذا بدأ الشيطان يحاربك : قل له « إننا أخذنا قوة من المسيح ضد جميع الشياطين » . من هو هذا الشيطان الذى يحاربك ؟

إنه لا يحتمل مزموراً منك. ولا يحتمل صلاة من صلواتك. وشيء أكثر من هذا، إنه لا يستطيع احتمال تواضعك.

إذا أردت أن ينجيك الرب من كل فعل الشيطان، اسلك فى التواضع. فقد أتى الشيطان إلى القديس الأنبا مقاريوس الكبير وقال له «ويلاه منك يا مقارة، أى شيء أنت تعمله، ونحن لا نعمله؟! أنت تصوم، ونحن لا نأكل. أنت تسهر، ونحن لا ننام. وأنت تسكن فى البرارى والقفار، ونحن كذلك. ولكن بشيء واحد تغلبنا، بتواضعك». قال ذلك لأن التواضع يخزى الشياطين. إذا رآك الشياطين متواضعاً، ينظرون فيك صورة المسيح الذى حطمتهم وهزمتهم، بتواضعك ويخافون منك.

فى انسحاق اطلب من الرب أن ينجيك من الشياطين...

ومؤامرة الناس الأشرار

نطلب من الله أن ينجينا من مؤامرة الناس الأشرار. ولكن نصيحتى لك أنك بالنسبة لعبارة «الناس الأشرار». لا تضع فى ذهنك شخصاً معيناً حين تقولها.

مؤامرة الناس الأشرار تعنى أى مؤامرة تأتيك من الأشرار، أو بالحرى من الشياطين، وكل أعوانهم.

وإن جاء فى فكرك إسم معين قل «هذا الشخص أبر منى».

كل حسد وكل تجربة وكل فعل الشيطان... وماذا أيضاً ؟

وقيام الأعداء الخفيين والظاهرين

تؤخذ هذه العبارة على عدة معان :

١ ـ إما أن **الأعداء الخفيين هم الشياطين**، والظاهرين هم أعداؤنا من بنى البشر.

٢ ـ أو بمعنى آخر، أن «الأعداء الخفيين» هم الذين لا نعرفهم، والظاهرين هم الواضح عداؤهم. **هناك إنسان تعرف تماماً أنه عدو.** إنه عدو ظاهر. هناك عدو خفى يبتسم فى وجهك، و يبدو كما لو كان يدافع عنك، و يعطيك من طرف اللسان حلاوة، وكلامه «ألين من الزيت»، ومع كل ذلك يكون عدواً خفياً...

٣ ـ **ثالثاً : لاشك أن من ضمن الأعداء الخفيين الأصدقاء المتملقين:** الصديق الذى يمدحك بدون وجه حق، و يقول لك «برافو عليك، أنت أعجبتنى فى الموقف الفلانى». و يكون ذلك الموقف سبباً لهلاكك فى جهنم!! إنه عدو خفى. فى ظاهره صديق، وهو عدو. لذلك قال الكتاب المقدس «أمينة هى جراح المحب، وغاشة هى قبلات العدو» (أم٢٧ : ٦).

من الجائز أن الصريح معى فى عدائه ، يكون قلبه أبيض ، ومن بساطته يجاهر بما يعتقد. بينما هناك شخص آخر، من مكره وخبثه ، بيخفى عنى حقيقته ، وهو حية تدفن نفسها فى التراب ، دون أن ترى منها شيئاً ، ودون أن تشعر بها ... هذا معنى آخر للأعداء الخفيين والظاهرين .

٤ ـ هناك معنى رابع للأعداء الخفيين والظاهرين وهو: **من الجائز أن الأعداء الخفيين يقصد بهم الخطايا الخفية داخلك ،** التى لا تراها . نعم ، نعم هناك أعداء خفيون فى أعماقك من الداخل ... فى أعماق غرائزك ، وفى أعماق قلبك وحواسك ، وفى أعماق شهواتك .

هناك أعداء ظاهرون. وربما عدوك الظاهر هو يدك أو عينك أو لسانك. هذه أعضاء ظاهرة. وعدوك الخفى هو قلبك. من الداخل ... هذه أعضاء أو أعداء ، خفية وظاهرة .

حقاً ، إن الإنسان عدو نفسه .

٥ ـ من الجائز أن الناس يكونون الأعداء الظاهرين . ودواخل نفسك تكون هى الأعداء الخفيين ... كل هؤلاء تطلب من الله أن ينجيك منهم .

لاحظوا هنا أن الأجبية مفيدة فى أنها تعطينا تفاصيل عجيبة لا يمكن أن تطلبها لو كنت تصلى صلاة ارتجالية. هل

معقول أن يطلب أحد أن ينجيه الرب من كل هذه الأشياء معاً ؟
لا أظن.. كل هذه نقول للرب عنها .

انزعها عنا وعن سائر شعبك

فى هذه الطلبة تقدم لنا الأجبية توجيهاً أن يكون الشخص منا غير أنانى فى صلاته .

كما يطلب من الرب أن ينزع الشر عنه ، يطلب كذلك أن ينزعه عن جميع الناس . « عنا ، وعن سائر شعبك » .

وهنا أحب أن أسأل سؤالاً بسيطاً يا ليتك تجيب عنه بصراحة عن نفسك . عندما تطلب هذه الطلبة فى صلاتك « انزعها عنا وعن سائر شعبك » .

هل تطلب أن ينزع الرب هذه الشرور عن جميع الناس ، بما فيهم أعدؤك ؟! .

الذين أحياناً بتضايق منهم ، تكرههم . أم أنت تطلب وتقول « انزعها عنا وعن سائر شعبك ، وفى قلبك لا تقصد فلاناً وفلاناً ... ؟! أو على الأقل يكون موقفك منهم سلبياً ...

لو أنك يا أخى تطلب فعلاً من أجل جميع الناس ، تكون فى هذه الحالة مصلياً أيضاً من أجل أعدائك... وليس فقط من أجل

مجموعة معينة. بل أنت تصلى من أجل جميع الناس، بما فيهم الذين يعادونك و يضطهدونك، و يقولون عنك كل كلمة شريرة كاذبين. هؤلاء أيضاً تقول «يارب انزع عنهم كل حسد وكل تجربة وكل فعل الشيطان ومؤامرة الناس الأشرار، **وقيام الأعداء الخفيين والظاهرين، الذين منهم أنا، أنا الذى ربما لا يفرحنى الخير لهم!**

صل من أجل جميع الناس، من أجل الشعب كله لأنهم كلهم أخوتك، وكلهم محتاجون إلى رحمة الله. وقل يارب: هذه الشرور كلها: انزعها عنا، وعن سائر شعبك.

وعن موضعك المقدس هذا

نطلب من الله أن يمنع الشر عن الناس وعن المكان- أى لا تسمح يارب أن هذا المكان يكون عرضة لعمل الشياطين ولمؤامرة الناس الأشرار.

نحن نطلب ان يقدس الله المكان ويحرسه و يباركه، لأنه موضعه المقدس، ومن الجائز أن نقول صلاة الشكر فى أى موضع. فحينما نقول «موضعك المقدس هذا» إنما نعنى أن هذا المكان الذى تصلى فيه هو مكان مقدس، أو صار كذلك.

ربما تقول «إننى أصلى الآن فى هذه القاعة، والقاعة

ليست كنيسة، وغير مدشنة»... أقول لك إنها تقدست بصلواتك، بتسابيحك، بتراتيلك، تقدست بوجودك أنت فيها، بقلبك الطاهر، بحواسك النقية.

وحينما تقول عبارة «موضعك المقدس هذا» وأنت فى غرفتك الخاصة. أشعر أن غرفتك الخاصة هى موضع مقدس لله. وإن قلت هذه الصلاة فى الشارع، اشعر أن الشارع يتقدس بالصلاة التى تصليها فيه...

ألسنا نسير أحياناً فى البرية ونقول «ما أقدس هذه الأرض التى داسها أرسانيوس بقدميه، ومشى عليها موسى الأسود وأنبا بيمن ومكسيموس ودومادیوس... إنها أرض مقدسة، برية مقدسة...

وكيف تقدست؟ تقدست لأن القديسين داسوا عليها فقدسوها. لأن هناك أراض أخرى لم تكن مستحقة أن يدوسوها بأقدامهم. فهذه الأرض التى استحقت أن يدوسوها بأقدامهم، هى أرض مقدسة. فأنت يا أخى إذن تقدس المكان. المكان يتقدس بك.

وحينما تقول للرب موضعك المقدس هذا، ماذا تقصد بهذا؟

تقصد أن تقول له أن هذا المكان هو موضعك أنت، هو مكانك. وأنت تقدسه، لأنى عندما أصلى تكون أنت معى كما

قلت «ها أنا معكم كل الأيام» (متى ٢٨ : ٢٠). وكما قلت «حيثما اجتمع إثنان أو ثلاثة باسمي، فهناك أكون فى وسطهم» (متى ١٨ : ٢٠). وبحلولك يارب فى مكان صلاتنا، تقدس المكان. إذن فانزع عن هذا الموضع المقدس الذى لك، كل حسد وكل تجربة وكل فعل الشيطان...

أما الصالحات والنافعات فارزقنا إياها

نحن لا نطلب فقط من الناحية السلبية أن ينجينا الله من الحسد والتجربة وفعل الشيطان... وإنما من الناحية الإيجابية نطلب من الله أن يعطينا الصالحات والنافعات. وكأننا نقول له «الأشياء الصالحة هى من عندك. وأما كل شر فهو من فعل الشيطان ومؤامرة الناس الأشرار»... فارزقنا هذه الصالحات والنافعات.

الصالحات كما تراها أنت يارب، وليس ما يراه فهمنا البشرى القاصر.

لأنك أنت الذى أعطيتنا السلطان أن ندوس الحيات والعقارب..

المقصود بالحية هو الشيطان. لأن الشيطان فى سقطة آدم الأول

تكلم من فم الحية. وسفر الرؤيا يقول عن الشيطان إنه هو «الحية القديمة» (رؤ٢٠: ٢).

وعندما نقول «أعطيتنا أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو»، نقصد أن ندوس الشيطان وكل جنوده وكل قوتهم. والسيد المسيح عندما أرسل تلاميذه فى ارساليته الأولى لهم، «أعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة» (متى ١٠: ١).

من الأمور المعزية جداً فى صلواتنا أن نتذكر أن الله أعطانا سلطاناً على الشيطان وكل جنوده. **أهل العالم يخافون أن يكون للشياطين سلطان عليهم. أما نحن فعلى العكس، أعطانا الرب سلطاناً عليهم، على كل قوة العدو. أعطانا سلطاناً أن ندوسهم.**

قال الرب «أبصرت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء» (لو١٠: ١٨). وسفر الرؤيا يقول إن ربنا قيد الشيطان (رؤ٢٠: ٢). فالشيطان إذن ليس له علينا سلطان. لقد أعطانا الرب أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو.

الأنبا أنطونيوس، كانت الشياطين تهرب منه وتخافه. كذلك **فإن الشيطان الذى قابل القديس مكاريوس الكبير، قال له «ويلاه منك يا مقارة».** والشيطان الذى قابل الأنبا ايسيذورس قال له «٣٠٠٠ راهباً فى البرية لا أقدر أن أضرهم بشىء وأخ

واحد كان لنا ، جعلته يعتدى علينا النهار والليل !! أما يكفيك أننا لا نقدر أن نعبر على قلايتك ، ولا على القلاية التى إلى جوارك ؟! » ذلك أن الشخص المجاور له ، كان يعيش تحت ظل صلواته .

الله أعطانا سلطاناً على الشياطين لكى تخاف منا وترتعش .

كيف يمكن أن يكون لك سلطان على الشياطين فتخافك ؟

فى أول الأمر يبدأ الشيطان أن يحارب الإنسان ، يجربه ، يتعامل معه ، يجس نبضه ، يزنه ، يختبر معدنه ... يحاربه بالحواس ، بالنظر بالسمع باللمس ، **فينتصر الإنسان فى حرب الحواس ... يحاربه بالأفكار ، فينتصر عليه . حينئذ يخاف الشيطان ، ويشعر بالعجز أمامه .**

تماماً مثلما حدث مع القديس الأنبا أنطونيوس : حاربته الشياطين بالأفكار ، وبالشكوك ، فانتصر عليهم . حاربوه بمغريات العالم ، القوا الذهب فى طريقه ، فانتصر أيضاً . حاربوه بالشهوات ، ثم بالمفزعات ، ولم يقدروا عليه .. **فبدأوا يخافون منه . قالوا : « لا ليس هذا الإنسان من النوع العادى الذى نقدر عليه . إنه من عجينة أخرى » وإذ كان يهزمهم فى كل مرة ، بدأوا يخافون منه ، ويهربون من طريقه ...**

حينما يرونه يقولون «أيريد هذا الإنسان أن يحطمنا كما فعل أمساً، وقبلاً من أمس ؟!» وهكذا يهربون من طريقه ... مثل بطل من الأبطال، كل من يتعرض له ينكسر. حينئذ يخاف الناس من التعرض له. وإن رآه أحد، يتحاشى الاحتكاك به، ويقول له فى سره «رضيت من الغنيمة بالإياب». هكذا كان الشياطين يخافون من القديسين:

إن صلى الواحد منهم، ترتعش الشياطين وتهرب. لا يهم إن كانت الصلاة طويلة أم قصيرة: المهم إنهم حينما يعرفون أن هذا الإنسان قد دخل فى الموضوع، يبتعدون وينصرفون، متأكدين أن فخاخهم قد انكسرت فى هذا الأمر الذى يصلى من أجله ...

مادام الله أعطانا سلطاناً على الشياطين، إذن لا يصح أن نخاف منهم. وهذه الهبة تستدعى منا الشكر لله، وأيضاً تقوى إيماننا، وتعطينا ثقة فى المستقبل، ان الشيطان سوف لا يقوى علينا.

إن الشيطان لا يستطيع أن يقوى على الإنسان المؤمن، إلا إذا سلم هذا الإنسان نفسه للشيطان، وتنازل عن قوته. مثال ذلك قصة شمشون ودليلة.

شمشون كانت عنده قوة جبارة يهزم بها الكل. لكنه سلم نفسه، وتراخى وباح بالسر، وأعطى رأسه لمن يقص شعره!! هو

الذى ضيع نفسه . الله أعطاه قوة ، ولكنه لم يستخدمها ، بل بعثرها وأنفقها فى عيش مسرف .

فلا يعتذر أحد عن نفسه ، ويقول « إن الشيطان قوى » . لا يا حبيبى ، أنت أقوى منه .

والله أعطاك السلطان أن تدوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو . إنما أنت الذى تستسلم وتستضعف . أنت الذى تعطى روحك للشيطان . وإلا كيف تصلى إذن صلاة الشكر وتقول « لأنك أعطيتنا السلطان ... » !

سلطان ! تصور ... أعطاك سلطاناً . أنت إذن شخص ذو سلطان على جميع الشياطين . ما أروعك ! لماذا . لأن الله أخضعهم كلهم تحت قدميك ...

هل بعد هذا تقترب من الشياطين وتقول لهم « هلم نتفاهم : تعطونى خطية ، وأنا أعطيكم ارادتى .

تعطونى شهوة وأنا أعطيكم العزيمة والفكر ، واستسلم لكم » . وهكذا تفتح أبوابك للشياطين ! إذن العيب هو عيبك أنت ...

إن كنت بلا قوة أيها الأخ ، يكون لك عذر ، أما وقد أعطيت سلطاناً من الله ، فلماذا تخطىء ؟! مادامت لك قوة على المقاومة ، ولم تستخدمها ، لذلك ينبغى أن تخجل بالأكثر . **إننا نشعر بالخزى ، لأن الله أعطانا سلاحاً ، فلم نستخدمه ، وسلمناه**

لأعدائنا يقتلوننا به. بل إننا نشعر بخزى أكثر، لأننا فى خضوعنا للشياطين، إنما نخضع للحيات والعقارب!

وفى اعترافنا بأنهم حيات وعقارب، إنما نعترف ببشاعة الخطية. ليست هى شهية كما يراها الأشرار.

نقول بعد ذلك فى صلاتنا ...

ولا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير

مادمت يارب قد أعطيتنا السلطان، فلا تسمح بأن نقع فى أيدى الشياطين. لئلا نفتكر أننا ذوو سلطان فننتفخ، ثم نسقط. إننا على الرغم من كل هذا السلطان نلتمس معونتك ورحمتك.

إننا لا ننجو من الشرير بقوتنا ولا ببرنا، ولكن بالنعمة التى أعطيت لنا فى المسيح يسوع. بالنعمة والرأفات ومحبة البشر التى له. ننجو من الشرير لأن الله يتراءف علينا، ولا يتخلى عنا، وإلا شابهنا الساقطين فى الجب.

إن وجدنا فى أنفسنا شيئاً من الخير، فلا يصح أن نعتبر هذا منا، وإنما من محبة الله للبشر.

هذا الذى من قبله المجد والكرامة

المسيح مملوء مجداً وكرامة، لأن المجد الحقيقى فيه. نحن ليس لنا مجد، لأننا خطاة وتراب ورماد... أما المسيح فله

المجد... إنه بهاء مجد الآب ورسم جوهره (عب ١ : ٣). عندما أراد الآب أن نراه. رأيناه فى إبنه. وهكذا قال السيد المسيح «من رآنى فقد رأى الآب» (يو١٤ : ٩). له المجد أيضاً فى أعماله الصالحة، وله المجد فى معجزاته. له المجد منا جميعاً، لأننا نعيش فى احساناته ومحبته...

له المجد والكرامة. ودائماً نذكر هذه الناحية: لأن المسيح الذى عاش فى الأرض محتقراً ومرذولاً من الناس (اش٥٣ : ٣) الذى أهين من الناس وبصق عليه وصلب، نحن نقول إن له المجد والكرامة والعز والسجود...

إن السجود لا يليق إلا بالله. فلماذا نقول «له السجود»؟ إننا بهذا نعترف بلاهوته، لأن من حقه السجود. وقد قال عنه الكتاب إن له تجثو كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض (فى ٢ : ١٠). وأيضاً «لتسجد له كل ملائكة الله» (عب ١ : ٦)...

تليق بك معه ومع الروح القدس...

هنا نوجه تمجيدنا للثالوث الأقدس. له الشكر الدائم إلى الأبد

عن هذا الجزء الأخير من الصلاة، اقرأ الكتاب الأول من تأملاتنا فى أسبوع الآلام، عن تسبحة البصخة، وعنوانه:

لك القوة والمجد...



تأملات في المزمور الخمسين

المزمور الخمسين

ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك ومثل كثرة رافتك تمحو اثمى وتغسلنى كثيرا من اثمى ومن خطيتى تطهرنى • لأنى عارف باثمى ، وخطيتى امامى فى كل حين • لك وحدك اخطات والشر قدامك صنعت • لكى تتبرر فى أقوالك وتغلب اذا حوكمت لأنى ها انذا بالاثم خبل بى ، وبالخطايا ولدتنى امى •

لأنك هكذا قد احببت الحق • اذ اوضحت لى غوامض حكمتك ومستوراتها • تنضح على بزوفاك فاطهر • وتغسلنى فأبيض اكثر من الثلج • تسمعنى سرورا وفرحا فتبتهج عظامى المنسحقة • اصرف وجهك عن خطاياى وأمح كل آثامى •

قلبا نقيا اخلق فى يا الله وروحا مستقيما جدده فى احشائى لا تطرحنى من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه منى • امنحنى بهجة خلاصك • وبروح رئاستى ثبتنى فاعلم الأثمة طرقك والمنافقون اليك يرجعون •

نجنى من الدماء يا الله اله خلاصى فيبتهج لسانى بعدلك • يارب افتح شفتى فيخبر فمى بتسبيحك لانك لو آثرت الذبيحة لكنت الآن اعطى • ولكنك لا تسر بالمحرقات فالذبيحة لله روح منسحق • القلب المنكسر والمتواضع لا يرذله الله •

انعم يارب بمسرتك على صيهون ولتبن اسوار اورشليم • حينئذ تسر بذبائح البر قربانا ومحرقات ويقربون على مذابحك العجول هللويا

هذا المزمور بين المزامير

تشمل المزامير موضوعات متعددة جداً ...

ففيها التسبيح والتمجيد ، والتأمل فى صفات الله وفى أعماله ، وفى خليقته وفى ملكه ، وفى وصاياه وفى مساكنه . وفى المزامير أيضاً طلبات متنوعة ، وصراخ إلى الله . وفيها الشكوى والعقاب أيضاً ، وفيها عبارات الحب والاشتياق إلى الله ، والشكر والاعتراف بجميل الرب وبرعايته وأفضاله ، وفيها الفرح والتهليل ، وذكريات الحياة مع الله . وفى المزامير أيضاً نبوءات ، وكلمات البركة ، ونصائح وارشادات ، وتطويبات . وفيها أيضاً كلمات التوبة ، وانسحاق القلب ، والدموع ، والاعتراف بالخطية .

والمزمور الخمسون هو من مزامير التوبة ، بل هو اشهرها .

ولعل أول مزمور من مزامير التوبة هو المزمور السادس ، الذى يبدأ بعبارة «يارب لا تبكتنى بغضبك ، ولا تؤدبنى بسخطك» . والمزمور الثامن والثلاثون يبدأ بنفس العبارة أيضاً .

ويمكن أن نعتبر من مزامير التوبة أيضاً السابقة فى الترتيب المزمور الخمسين والمزمور ٣٢ ، والمزمور ٢٥ ، ١٢ ... ولكن المزمور الخمسين هو أشهرها جميعاً . ورقمه فى الترجمة البيروتية ٥١ .

والكنيسة تضعه فى مقدمة كل صلاة فى الأجبية :

سواء ذلك فى صلوات النهار أو الليل . نكرره أكثر من سبع مرات كل يوم ، ويدخل فى صلواتنا الطقسية ، وهو ملازم فيها للصلاة الربية وصلاة الشكر . ولا يوجد إنسان متدين إلا ويحفظه ، حتى تلاميذ التربية الكنسية يحفظونه ... ومن شهرته وضعت فيه الكثير من الكتب لعديد من مشاهير الوعاظ والمفسرين ، فى كل الكنائس ...

أول من صلاه هو داود النبى بعد سقطته :

بعد أن أخطأ مع بشثبع ، وتسبب فى قتل أوريا الحثى . وبعد أن أرسل له الله ناثان النبى ينبهه إلى بشاعة فعله ، ويقول له «أنت هو الرجل» (٢صم ١٢ : ٧) . فاعترف داود وقال : «أخطأت إلى الرب» (٢صم ١٢ : ١٣) . وقد سرد عليه ناثان انذارات الرب وعقوباته ، لأنه «جعل أعداء الرب يشمتون» . وبدأ داود يشعر بثقل ذنبه ، وصلى هذا المزمور ، وبدأه بقوله :

ارحمني يا الله كعظيم رحمتك

عبارة « أرحمني يا الله » عبارة يقولها كل إنسان :

نعم ، كل إنسان أياً كان قدره ، لأن كل إنسان محتاج إلى الرحمة . نحن نبدأ بها الصلوات إذ نقول «أبشويس ناى نان» ومعناها بالقبطية «يارب ارحمنا» . ونقولها حينما نردد كلمة كيرياليصون ٤١ مرة فى كل صلاة ، وتعنى فى اليونانية أيضاً «يارب أرحمنا» . ونقولها فى لحن «أفنوتى ناى نان» أى يا الله أرحمنا . ونقول فى الثلاث تقديسات «أيها الثالوث المقدس ارحمنا» ثلاث مرات . وننتهى بقولنا : يارب أرحم ، يارب ارحم ، يارب بارك آمين» ... نبدأ بها الصلوات ، وننهى بها الصلوات ، ونكررها مرات ومرات ...

وهنا يقول المرتل : ارحمنى يا الله ... لأن هذا هو المدخل الوحيد الذى أدخل به إليك ...

أنا خاطىء تحت الحكم ، ومعترف بخطيئتى ، ومستوجب لكل دينونة . وليس أمامى سوى باب واحد أدخل منه إليك ، وهو رحمتك... رحمتك أنت ، المعروف بالرحمة ، وأيضاً بالمغفرة .

ولقد ردد هذا المعنى فى المزمور ١٠٣ فقال «الرب رحيم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة.. لم يصنع معنا حسب خطايانا ولم يجازنا حسب آثامنا . لأنه مثل آرتفاع السموات فوق الأرض ، قويت رحمته على خائفيه ... كبعد المشرق عن المغرب ، أبعد عنا معاصينا » (مز١٠٣ : ٨- ١٢) .

وفى هذا المزمور يذكر الرحمة أولاً قبل ذكر خطاياه :

يذكرها الله ، فتغطى على الخطايا وتخفيها ، لأن هذه الرحمة هى سبب المغفرة . وماذا تكون خطايا أى إنسان ، إذا وضعت أمام مراحم الله ؟! إنها لا شىء : كقطعة من الطين ألقيت فى المحيط ، يفرشها فى أعماقه ولا تظهر . وهكذا نحن نصلى ونقول « كرحمتك يارب وليس كخطايانا » . وفى هذا قال داود أيضاً « أذكر مراحمك يارب وأحساناتك ، لأنها منذ الأزل هى . لا تذكر خطايا صباى ومعاصى » (مز٢٥ : ٦ ، ٧) . وفى صلاة العشار ، ذكر الرحمة أولاً قبل الخطية ، فقال « ارحمنى أنا الخاطىء » (لو١٨ : ١٣) .

ولأن الخطية بشعة ، فإن المرتل يذكر الله بعظيم رحمته :

برحمته غير المحدودة ، التى تتسع لجميع الخطايا ، لجميع الناس ، فى جميع العصور... منذ آدم خلال جميع الأجيال ... وكأنه يقول : فىَّ أنا الخاطىء تظهر جميع مراحمك ، أجعلنى موضوعاً لرحمتك . أضف إسمى إلى القائمة غير المحصاة لخطاة غفرت لهم ... لأولئك الذين قدمت عنهم المحرقات وذبائح الخطية وذبائح الإثم .

وبالنسبة إلينا ـ حينما نصلى هذا المزمور ـ نضيف إلى مراحم الله العظيمة كل ما شملته بعد عصر داود النبى : المرأة المضبوطة فى ذات الفعل ، والمرأة التى بللت قدميه بدموعها ، والمرأة السامرية ، وأوغسطينوس ، وموسى الأسود ، وكبريانوس الساحر ، ولونجينوس الجندى ، وأريانوس الوالى ، وبيلاجيه ومريم القبطية ، وكثيرين آخرين كمجرد أمثلة لمن تراءف عليهم الرب ، وشملهم بعظيم رحمته .

هنا نسمع ألفاظ الرحمة والرأفة وليس مشاعر الدالة .

فالإنسان فى حالة الخطية ، لا تملكه مشاعر الدالة ، وإنما الإحساس بالذلة ، هنا لا يقول داود «محبوب هو إسمك يارب ،

فهو طول النهار تلاوتى » (مز ١١٩) ، « بإسمك أرفع يدى ، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم » (مز ٦٢) ، « كلماتك حلوة فى حلقى ، أفضل من العسل والشهد فى فمى » (مز ١١٩) ... نعم لا يستطيع أن يقول « كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه، هكذا تشتاق نفسى إليك يا الله ... عطشت نفسى إلى الله » (مز ٤٢) ، « عطشت نفسى إليك » (مز ٦٢) ... هذه الدالة أختفت ، بكسره لوصايا الله ... إنما الحديث هنا عن الرحمة والرأفة ... فيتابع كلامه و يقول :

ومثل كثرة رأفتك تمحو إثمى

إلى جوار الرحمة العظيمة التى يستند إليها ، يستند أيضاً إلى رأفات الله الكثيرة .... وهاتان الصفتان جمعهما معاً فى قوله « الرب رحيم ورؤوف » (مز ١٠٣ : ٥) . ونفس الصفتين جمعهما أيضاً يونان النبى فى قوله للرب « علمت أنك إله رؤوف ورحيم ، بطىء الغضب ، وكثير الرحمة » (يون ٤ : ٢) . والرأفة عند الله تشمل الحنان والعطف وطيبة القلب ... فكم إذن كثرة رأفاته ؟ ...

إنه من أجل كثرة رأفات الله يطلب منه ليس فقط أن يغفر إثمه ، إنما أن يمحوه تماماً .

يمحوه ، أى لا يبقى له أى أثر على الإطلاق ، كأن لم يحدث . وهذا الأمر يتفق تماماً مع مراحم الله ورأفاته . . إنه هو القائل -فيما بعد- فى سفر اشعياء «أنا هو الماحى ذنوبك . وخطاياك لا أذكرها» (اش ٤٣ : ٢٥) وأيضاً «قد محوت كغيم ذنوبك ، وكسحابة خطاياك» (اش ٤٤ : ٢٢) . ويقول فى سفر ارميا النبى «لأنى أصفح عن إثمهم ، ولا أذكر خطيتهم بعد» (أر ٣١ : ٣٤)... إن الله يكرر عبارة «أمحو» وعبارة «لا أذكر» .

نعم يارب . لأنك إن كنت لا تمحو إثمى ، سيمحى إسمى من سفر الحياة !

ليتك تمحوها يارب ، حسب وعدك الصادق . حينما قلت : هلم نتحاجج «إن كانت خطاياكم كالقرمز . تبيض كالثلج» (اش ١ : ١٨) . وهكذا لا تذكرها لى . ولا تؤثر على محبتك لى فى المستقبل . ولا تجعلها سبباً لزوال الدالة بينى وبينك . ولا يضيع كل تاريخى الحلو معك بسببها .

هنا داود يطلب محو الخطية وليس محو العقوبة .

كانت لخطيته عقوبتان : العقوبة الأبدية ، وهذه غفرها له

الله ، حينما قال له ناثان «الرب قد نقل عنك خطيتك . لا تموت» (٢صم ١٢ : ١٣) . أي قد نقل هذه الخطية من حسابك إلى حساب المسيح الفادى ، فلن يلحقك بسببها الموت الأبدى . ولكن كانت هناك عقوبة أرضية أخرى مثل «لا يفارق السيف بيتك ... والإبن المولود لك يموت» ومثل أنتهاك نسائه (٢صم ١٢) ... كل هذه العقوبات ، لم يتعرض لها داود فى هذا المزمور، ولم يطلب مسامحته ... كان همه كله ، فى رفع الخطية ذاتها . وفى نتائجها عليه ...

وكانت هناك عقوبة ثالثة هى الأصعب . وهى غضب الله عليه . وكانت تتعبه بالأكثر.

وهى التى قال عنها فى هذا المزمور فيما بعد «لا تطرحنى من قدام وجهك . وروحك القدوس لا تنزعه منى» .... إن داود يريد فى طلبته بالدرجة الأولى رضا الرب عليه ... بمحو هذه الخطية التى تقف حائلاً بينه وبين الله ... يريد أن يصطلح مع الله ، بنقض هذا الحائط المتوسط بينه وبينه ... ويحيا فى حياة الشركة الإلهية كما كان ، وتعود له الصورة الإلهية ، وقوة المسحة المقدسة فى حياته . لذلك يقول :

أغسلني كثيراً من إثمي ومن خطيتي طهرني

هنا يقول داود «إثمي ... وخطيتي» و يكرر نفس الكلمتين في الآية التالية. ثم يضيف إلى إثمه وخطيئته عبارة «والشر قدامك صنعت» ... إنها صفات ثلاثية يصف بها سقطته. و يذكر أيضاً أن هذه السقطة قذارة في حياته تحتاج إلى غسيل، ونجاسة تحتاج إلى تطهير... فيقول «أغسلني كثيراً حتى أصل إلى النقاوة المطلوبة. وعبارة «كثيراً» تدل على شعوره ببشاعة خطيئته... وطبعاً في هذا الغسل الكثير. يحتاج إلى عصر كثير، حتى يتنظف، وعبارة «طهرني» تدل أيضاً على شعوره ببشاعة الخطية.

حسن أن يشعر الإنسان أن خطيئته نجاسة تحتاج إلى تطهير.

ليس فقط خطايا الجسد كالزنى، وإنما حتى أيضاً خطايا اللسان، التي قال عنها الرب «بل ما يخرج من الفم، هذا ينجس الإنسان» (متى ١٥ : ١١). وقال معلمنا يعقوب الرسول «... اللسان الذي يدنس الجسم كله» (يع ٣ : ٦). بل إن العمل في يوم الرب، اعتبره الرب نجاسة فقال «نجسوا سبوتي»

(حز ٢٠: ١٣)... فكم بالأولى يكون الزنى ؟! كل هذا يحتاج إلى تطهير، لأن جسد الإنسان هو هيكل الله (١كو٦: ١٩) وينبغى أن يكون مقدساً...

الإنسان البار يشعر ببشاعة الخطية وأنها نجاسة. أما الشيطان فيقلل من قدر الخطية.

وبسبب شعور داود ببشاعة خطيئته، قال فى المزمور السادس «تعبت فى تنهدى، أعوم كل ليلة سريرى، وبدموعى أبل فراشى». وقال أيضاً «آثامى قد طمت فوق رأسى، كحمل ثقيل أثقل مما أحتمل. قد أنتنت، قاحت... اليوم كله قد ذهبت حزيناً... انسحقت إلى الغاية... يارب أمامك كل تأوهى وتنهدى... ليس بمستور عنك... قلبى خافق، قوتى فارقتنى، ونور عينى أيضاً ليس معى» (مز٣٨: ٤ - ١٠). لماذا كل هذا ؟

لأنى أنا عارف بإثمى وخطيئتى أمامى فى كل حين

إنه لا ينكر خطيئته، ولا يخفيها، ولا يبررها، ولا يتهرب منها. بل هو يعترف بها علانية أمام الله، وقد أعترف بها أمام ناثان النبى... ويعترف بها أمام الجميع وأمام التاريخ فى هذا

المزمور ... ويقول كل ذلك باقتناع داخلى ، وبندم وحزن ودموع ... إنه عارف بإثمه . انكشفت نفسه أمامه وأمام الله . فإذا هى تحتاج إلى غسيل وإلى تطهير... وهو يضع خطيئته أمامه كل حين . وكما قال القديس أنطونيوس :

إن ذكرنا خطايانا ، ينساها لنا الله . وإن نسينا خطايانا يذكرها لنا الله .

فأنا أقول لك يارب ككثرة رأفاتك أمح إثمى . أما أنا فلا أمحوه أبداً من ذاكرتى ، إنه أمامى كل حين... أما يسحق نفسى ، ويعلمنى الإتضاع ، ويجذبنى إلى أسفل كلما ارتفعت . إنه أمامى حينما يشتمنى شمعى بن جيرا ، فأقبل منه شتيمته لأنى أستحقها بسبب خطاياى ، وأقول فى إنسحاق «الرب قال له سب داود» (٢صم١٦ : ١٠) . خطيئتى أمامى تجلب لى الدموع وتشعرنى بضعفى ، وتجعلنى أشفق على الساقطين ، حتى على ابشالوم .

حسن أن يضع الإنسان خطاياه أمامه كل حين ، ما عدا تفاصيل الخطايا الإنفعالية والشهوانية .

هذه التى إن ظل يفكر فيها ، قد تعود إليه . إنما يكفى أن يشعر بخطيئته ، دون أن يذكر تفاصيلها . يضع خطاياه أمامه حتى

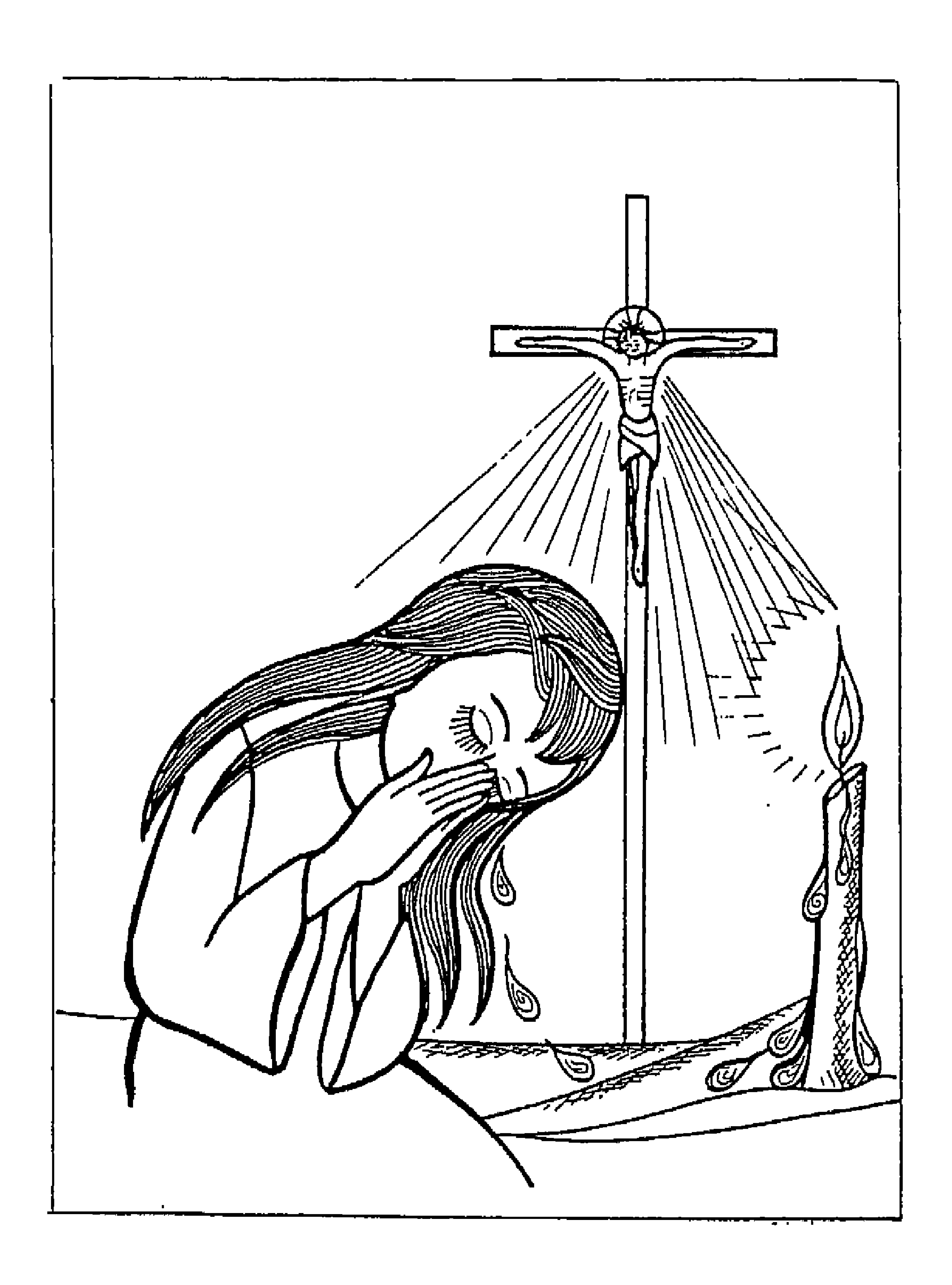
لا يدين أحداً ، لأن الذى بيته من زجاج ، لا يقذف الناس بالحجارة ، وبالتالى لا يقسو على أحد ، ولا يشهر بأحد ... و يتذكر خطاياه ، يحترس فى المستقبل ولا يتهاون .

داود يقول إثمي ، وخطيئتي ... ولا يذكر عثرة للمرأة .

إنه يركز على خطيئته ، ولا يلقى بمسئوليتها على أحد ... لا يفعل مثل أبينا آدم الذى قال للرب » المرأة التى جعلتها معى ، هى أعطتنى فأكلت » (تك ٣ : ١٢) . فلم يقبل الرب ذلك منه ، لأن كل إنسان مسئول عن فعله أمام الله ... حسن أن داود عارف بإثمه ، وليس بإثم غيره ...

متى يمكننا أن نعرف أنفسنا ونعرف خطايانا ؟

ألا يحتاج هذا منا ، أن نجلس إلى أنفسنا ، ونفحصها جيداً بغير تحيز ولا مجاملة ، وندرك ما هى فيه من ضعف ومن سقطات ، ونعرضها أمام الله ... و يقول له كل منا فى إنسحاق قلب : « أغسلنى كثيراً من إثمى ، ومن خطيتى طهرنى ... لأنى أنا عارف بإثمى ، وخطيئتى أمامى فى كل حين » .



لك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت

بعد أن يضع المرتل خطيته أمامه كل حين ، يقول : **لك وحدك أخطأت ...**

لاشك أن داود قد أخطأ إلى كثيرين ، من بينهم بتشبع وأوريا الحثى (٢صم ١١) . ومع ذلك فإنه يقول للرب « لك وحدك أخطأت ، والشر قدامك صنعت » . فما هى المشاعر التى تختفى وراء عبارة « لك وحدك » ؟ لعلنا نذكر من بينها ثلاثة أعتبارات هى :

١ - فى شعوره بأن الخطية ضد الله ، تتصاغر وتتضاءل كل الاعتبارات الأخرى كأن لا وجود لها .

إنه أخطأ ضد وصية الله ، وهكذا تمرد عليه وكسر وصاياه . وأخطأ ضد محبته وضد أحساناته الكثيرة ... الله الذى أخذه من وسط الغنم ، ورفعه ورقاه ... الله الذى حفظه من كل مؤامرات شاول وباقى أعدائه ... الله الذى باركه ببركات عديدة ... الله الذى خلقه ، والذى منحه هذه الحرية التى أستخدمها ضده .

إنه أخطأ إلى عين الله الطاهرة التى رأت خطيته .

من أجل هذا قال أيضاً والشر قدامك صنعت » ... نوع من الإستهانة وعدم الخجل ، أن يخطىء الإنسان تحت سمع الله وبصره... أمامه ، بلا حياء... أمامه كأب ، وقدوس ! ولذلك عندما عرضت الخطية على يوسف الصديق ، فزع أمام خطورة هذا الأمر وقال « كيف أصنع هذا الشر العظيم ، وأخطىء إلى الله » (تك ٣٩ : ٩) ... ولم يقل « وأخطىء إلى فوطيفار أو إلى زوجته » وإنما قال « أخطىء إلى الله » ... الله الموجود فى كل مكان ، و يرى كل شىء ...

يقيناً إن الإنسان وهو يخطىء ، لا يجعل الله أمامه !

لا يفكر وقتها أن الله يرى و يلاحظ و يسمع ـ يشعر أنه واقف أمام الله ، الله القدوس ... وكل هذه خطايا أخرى ، أن يكون ناسياً لله ، وغير حاسب أى حساب لوجوده . وهذا الأمر نفسه لام داود عليه أعداء الله حينما قال « الغرباء قد قاموا علىَّ ، والعتاة طلبوا نفسى ... ولم يجعلوا الله أمامهم » (مز٥٤ : ٣) . ولذلك فإن الإنسان الذى يجعل الله فى فكره باستمرار، من الصعب أن يخطىء ، لأن الله أمامه ، لا حصر له ، « استحياء الفكر» .

داود كان وقت الخطية ، فى فترة استرخاء ، بعيداً عن الصلة بالله !

لم يكن مشغولاً بالرب ، لم يكن فى مشاعر الحب الإلهى التى يقول فيها «محبوب هو إسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتى» (مز١١٩)... يقيناً لو كان فى ذلك الوقت يتلو فى إسم الله المحبوب لديه ، ما كان قد أخطأ ...

ولكن كما يقول الكتاب ، وكان فى وقت المساء ، أن داود قام عن سريره ، وتمشى على سطح بيت الملك ، فرأى ...» (٢صم١١ : ٢) . ترك الشعب يحارب فى الميدان ، ونام هو فى بيته ، وخرج يتمشى على السطح ... رفاهية جديدة لم يعشها من قبل ، حين كان ينزل إلى الحرب مع جنوده . وفى نفس الوقت لم يقم عن سريره ليصلى ، مثلما كان يقول «كنت أذكرك على فراشى ، وفى أوقات الأسحار كنت أرتل لك» ... وحينما أتته التجربة ، لم يكن الله أمامه ، فأخطأ إليه ...

إن الشيطان يعرف الوقت الذى يضرب فيه ضربته .

ينتهز الفرصة التى يكون فيها الإنسان بعيداً عن صلواته ومزاميره وتأملاته ، بعيداً عن الوسط الروحى ، وليس الله أمامه ، وحينئذ يضربه وهو غير محصن ... الله ليس فى فكره ، ولا فى قلبه ...

وهنا ، حينما قال داود للرب « لك وحدك أخطأت » ، إنما يقصد أمرين : أخطأت أولاً إليك ، حينما أبتعدت عنك ، وعن مناجاتك ، ولم أجعلك فى فكرى وقلبى وحينئذ أخطأت فى الثانية ، فسقطت وكسرت وصاياك .

أخطأت إليك ، لأنى احزنت قلبك المحب ...

احزنت روحك القدوس الذى من جهته أصرخ إليك قائلاً « روحك القدوس لا تنزعه منى » (مز ٥١ : ١١) . وهكذا حطمت حياة الشركة التى تربطنى بك ، وأنفصلت عنك بخطيتى ، وفقدت الدالة التى بينى وبينك . وفى ضوء العهد الجديد ، يمكن أن يقول المصلى » نجست هيكلك المقدس ، الذى هو جسدى » (١ كو ٣ : ١٦ ، ١٧) . وهكذا أكون قد أخطأت إليك . وأيضاً فى خطيتى . ، أكون مقاوماً لروحك القدوس وعمله فىَّ » أع ٧ : ٥١) ، وأيضاً فى خطيئتى يقف أمامى قول الرسول « لا تحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم » (أف ٤ : ٣٠) ... إن حزنك هو أعظم خطية أرتكبها . لك وحدك أخطأت ...

والشر قدامك صنعت ، فى كل تفاصيل الخطية :

تفكيرى فى الخطية ، وانفعالى الداخلى بها ، كان أمامك ، وإن

لم يره أحد ... وتنفيذى للخطية كان قدامك أيضاً ، وكذلك كانت أمامك كل محاولاتى لاخفاء الخطية والهروب من نتائجها . وفى كل تلك المراحل كان ضميرى نائماً قدامك أيضاً ، وكانت الخطية تتعدد وتتطور من خطوة إلى أخرى . وأنت ترى ، ويكتب أمامك سفر تذكرة (ملا ٣ : ١٦) .

أخطأت أمامك كإله ، وأيضاً كقاض وديان :

حقاً ما ابشع أن يرتكب الإنسان الذنب أمام قاضيه ، بلا خوف ، ولا حياء ... أخطأت أمامك وأنا أعرف تماماً أننى سأقف أمامك أيها الديان العادل . ولا يحتاج إثبات ذنبى إلى شهود . فالقاضى نفسه هو الشاهد !

ولكن لعل هذا الأمر لم يكن فى ذهنى فى ذلك الوقت ! ولكن عدم وجوده فى ذهنى هو خطية أخرى ... أن أتجاهل الله ! نعم أخطأت إليك أيها الديان العادل . أخطأت إلى هيبتك الإلهية ، كما أخطأت إلى محبتك الأبوية ...

ولست أجد علاجاً لكل هذا ، سوى قولى أخطأت إليك وعبارة أخطأت إليك ليست علاجاً ، إنما هى صرخة ... إلى رحمتك .

٢ ـ أخطأت إليك وحدك ، على الرغم من خطيئتى إلى غيرك ؟

وذلك لأن هذا الغير ليس منفصلاً عنك ، بل كل من أخطأت إليهم هم خليقتك ، وهم أولادك ، منتمون إليك . والخطأ إليهم يعتبر فى نفس الوقت خطأ إليك وحدك وأنت نسبت كل ما يفعل إليهم إليك ، فقلت : مهما فعلتموه بأحد أخوتى هؤلاء الأصاغر ، فبى قد فعلتم (متى ٢٥ : ٤٠) ، سواء كان خيراً أو شراً ... بل إن مجرد عدم عمل الخير إلى الناس ، يعتبر خطية موجهة إليك ، كعدم اطعام الجائع ، وعدم زيارة المريض ، فتعاقب هؤلاء قائلاً «الحق أقول لكم : بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر ، فبى لم تفعلوا» (متى ٢٥ : ٤٥) ... كم إذن خطية الاعتداء والإساءة والتدنيس !

كم إذن الخطية إلى أشخاص هم أعضاء فى جسدك ؟!

ألست أنت هو الرأس ، وهم أعضاء فى جسدك . وكما يقول الرسول عنك «لأننا أعضاء جسمه ، ومن لحمه ومن عظامه» (أف ٥ : ٣٠) . فالكنيسة هى جسد المسيح . من يخطىء إلى عضو فيها ، إنما يخطىء إلى المسيح نفسه ويقول له : لك وحدك

أخطأت . هو الكرمة ونحن الأغصان (يو١٥: ٥). من يجرح غصناً ، إنما يجرح الكرمة ذاتها ...

٣ - حتى خطيئتي ضد نفسي ، هي موجهة إليك أيضاً ...

فأنا منك ، إبن لك . وعندما يخطىء أولاد الله ، إنما يسيئون إلى الأسرة كلها ، وإلى الأب نفسه . وهكذا فإن الرسول يقول « الذى تفتخر بالناموس ، أبتعدى الناموس تهين الله ؟ لأن إسم الله يجدف عليه بسببكم بين الأمم » (رو٢ : ٢٣ ، ٢٤). فإن كان إسم الله يجدف عليه بسببك ، ألا تقول له « لك وحدك أخطأت » ؟ كم بالأولى إذن داود الذى كان يعتبر مسيحاً للرب ؟! لذلك قال له ناثان موبخاً « قد جعلت بهذا الأمر أعداء الرب يشمتون » (٢صم ١٢ : ١٤). هى إذن خطية موجهة إلى الرب ، جعلت أعداءه يشمتون .

٤ - هناك أعتبار رابع نقوله فى مفهوم الفداء فى العهد الجديد :

لك وحدك أخطأت ، لأن كل خطية أرتكبها ، ستحملها أنت عنى ، لكى تمحوها بدمك الكريم . فأنا إنما أخطىء بها إليك وحدك ، لأنك أنت وحدك الذى تحملها ، وأنت وحدك الذى تدفع

ثمنها للعدل الإلهى . وذلك كما قال اشعياء النبى « هو مجروح من لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا ... كلنا كغنم ضللنا ، ملنا كل واحد إلى طريقه ... والرب وضع عليه إثم جميعنا » (اش ٥٣ : ٥ ، ٦) .

فأنا أخطأت إليك وحدك ، لأننى حملت كل آثامى :

ما أخطأت به إلى بثشبع ، وإلى أوريا ، لم تحمله هى ، ولا هو، ولا أنا ، إنما حملته أنت . أنت القدوس ، الذى بلا خطية وحدك ، قد وضع عليك إثم جميعنا . وحينما أقول لك « ومثل كثرة رأفاتك تمحو إثمى » ، إنما أقصد أن تمحوه بدمك ، تضعه عليك ، وتدفع ثمنه نيابة عنى ، وتكون أنت الفادى الذى تبذل ذاتك عنى . لذلك أنا أعترف بخطاياى لكى تحملها عنى ، كذبيحة خطية ... إذن فأنا « لك وحدك أخطأت » أيها الفادى الحنون ...

لا يقل أحد إذن : أنا لم أخطىء ، لأنى لم اسىء إلى أى إنسان ! ...

سواء أسأت إلى إنسان أو لم تسىء ، فأنت قد أسأت إلى الله ... مثال ذلك : خطايا الفكر ، أو النية ، مجرد رغبات القلب الخاطئة ... أنت لم تضر بها أى أنسان ، ولكنك تقول عنها لله

« لك وحدك أخطأت » ـ أخطأت إليك يا فاحص القلوب وقارىء الأفكار... أخطأت إليك، لأنى رفضت شركتك أثناء أخطاء الفكر والقلب هذه. لأنك نور، وهذه الأفكار ظلمة « ولا شركة للنور مع الظلمة » (٢كو٦ : ١٤)...

الخطية أصلاً موجهة إلى الله، قبل أن تتجه إلى أحد من الناس ...

منذ بدايتها فى الفكر وفى القلب، وقبل أن تخرج إلى حيز العمل والتنفيذ، هى تمرد على الله وعلى وصاياه، وعلى محبته... هى ضد الله فى عملها، وفى نتائجها أيضاً، لأنها توجد خصومة بين الله والإنسان. ولذلك قال الرسول عن دعوة الناس إلى التوبة، إنها خدمة المصالحة »... فقال « وأعطانا خدمة المصالحة إذن نسعى كسفراء للمسيح، كأن الله يعظ بنا » نطلب عن المسيح : تصالحوا مع الله » (٢كو٥ : ١٨، ٢٠).

ما هو شعورك إذن، حينما تدرك أنك فى خصومة مع الله ؟.

بغض النظر إن كانت الخطية ضد الناس أو ضد نفسك، إنما هى خصومة مع الله وأنفصال عنه... وقد شرحنا لك هذا الأمر

بالتفصيل فى كتابنا [الرجوع إلى الله] ... إذن فأنت محتاج إلى أن تعود إلى الله ، وتجدد علاقتك معه وارتباطك به . وتبدأ ذلك بقولك له « لك وحدك أخطأت » .

نقول هذا أيضاً حتى عن خطايا الجهل :

إننا نطلب فى صلاة الثلاث تقديسات أن يغفر الله لنا سيئاتنا التى فعلناها بمعرفة ، والتى فعلناها بغيرمعرفة . لأنها سواء كانت بمعرفة أوبغير معرفة ، هى كسر لوصايا الله ، و بعد عن حياة الكمال . كما أن الجهل أيضاً قد يعتبر خطية . فالمفروض فينا أن نعرف وأن ننمو فى المعرفة ، سواء بقراءة الكتب المقدسة أو عن طريق الصلاة ، قائلين للرب « عرفنى يارب طرقك ، فهمنى سبلك » . وإن كنا لا نقرأ الكتب التى تحكمنا للخلاص (٢تى ٣ ١٥) فإنه ينطبق علينا قول الرب « تضلون إذ لا تعرفون الكتب » (متى ٢٢ : ٢٩) .

حقاً إنك تخطىء إلى الله ، حينما تهمل كتبه وتهمل معرفته .

المفروض فيك أن تسعى إلى معرفة الله ، وأن تجد لذة فى معرفة وصاياه ، وأن تنمو يوماً بعد يوم فى المعرفة . وتعتبر رفض هذه المعرفة خطية . اتراك تستطيع أن تقول : لا أريد يارب أن أعرفك ولا أريد

أن أعرف طرقك ! إنك لا تجرؤ طبعاً أن تقول هذا ، ولكنك تفعل ذلك عملياً ، حينما لا تستخدم الوسائل التى توصلك إلى هذه المعرفة ... فإن قصرت فى معرفة الله ، ولم تهتم بهذا الأمر، ألا تقول له « لك وحدك أخطأت » .

هوذا السيد المسيح يقول عن تلاميذه فى مناجاته للآب :

« عرفتهم إسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به . وأكون أنا فيهم » (يو١٧ : ٢٦) ..

إذن معرفة الله تؤدى إلى محبة الله . لأنه كيف تحب الله إن لم تعرفه ؟! لاشك أنك كلما تعرفه أكثر، حينئذ تحبه أكثر. فالذى يقصر فى معرفة الله ، إنما يقصر فى محبته ، أو فى الوسائل التى توصله إلى محبته . ألا يقول له حينئذ « لك وحدك أخطأت » ... أو كما قال له أوغسطينوس «تأخرت كثيراً فى حبك أيها الجمال الفائق الوصف » .

هناك أمران يعطلان عبارة « لك وحدك أخطأت » :

أ ـ أولهما عدم أحساسنا بالخطايا الموجهة إلى الله . فنحن نسعى إلى أن نصطلح مع الناس حينما نحس أننا قد أخطأنا إليهم . ولكننا نادراً ما نبذل جهداً للصلح مع الله ، لأننا لا نحس أننا

أحزنا الله بخطايانا . بينما العهد القديم يشعرنا بهذا الأمر وخطورته ، فيجعل المحرقة هي أول الذبائح « لا ١ » ، وهى ترمز إلى مصالحة قلب الله الغاضب على خطايانا ، واستيفاء العدل الإلهى . بينما الخطايا إلى الناس وإلى أنفسنا تمثلها ذبيحة الخطية وذبيحة الإثم . فمصالحة الله أولاً ، ثم خلاصنا من العقوبة بعد ذلك ...

إن أخطأنا إلى إنسان ، نفكر كيف نصالحه . ولكننا لا نفكر فى نفس الوقت كيف نصالح الله !!

كما لو كانت الخطية موجهة فقط ضد الناس ، وليس ضد الله . هنا تصحح تفكيرنا عبارة « لك وحدك أخطأت ، والشر قدامك صنعت » . لذلك أجعل مشاعرك حساسة جداً من نحو الله . وفى كل خطية ترتكبها . فكر أولاً كيف أنك أسأت فيها إلى علاقتك بالله . ولا تجعل مشاعرك نحو الله فى المرتبة الثانية . وليملك عليك الشعور بأنك أغضبت الله ، أكثر من شعورك بأنك أستحققت العقوبة . الله أولاً : أو كما قلنا : ذبيحة المحرقة أولاً ، قبل ذبيحتى الخطية والإثم ...

ب ـ المشكلة الثانية هى أننا نكتفى بالإعتراف ، بدون المشاعر :

كل همنا أن نعترف ، ونستريح بهذا تماماً ، كما لو كان الأمر قد أنتهى ... نذكر خطاياك ، دون أن نفكر فى أن نصطلح مع الله ! دون أن نعتذر إليه ، ودون أن نندم على أننا أحزنا قلبه المحب ، ودون أن نقارن بين أحساناته إلينا ، وإساءتنا إليه . ونقول له فى ندم وفى إنسحاق قلب « نحن يارب كنا ناكرين لجميلك . وما فعلناه هو خيانة لك ولمحبتك . ماذا نقول ؟ إننا فى خجل منك ... » ... لذلك أسأل نفسك :

هل أنت حزين لأنك أخطأت ، أم أحزنت قلب الله ؟

هل كل ما تفكر فيه هو التخلص من عقوبة الخطية ، أم أنت تريد أرجاع علاقة الحب بينك وبين الله ؟ هل الإعتراف هو علاقة بينك وبين الآب الكاهن : أنت تتكلم وهو يسمع ويقرأ لك الحل ؟! أم أنك تعترف على الله فى سمع الكاهن ، وتسمع المغفرة من الله من فم الكاهن ؟ والإعتراف على الكاهن هو علاقة بينك وبين الله أصلاً ، تقول له فيها « لك وحدك أخطأت » .

لا تفصل اعترافك عن التوبة وعن الله .

إن سر الإعتراف يسمى فى الكنيسة « سر التوبة » فاذهب إلى الإعتراف بقلب منكسر ، نادم حزين على أنه أغضب الله وأنفصل عنه . وفى سر الإعتراف حاول أن تصطلح مع الله وترجع إليه وكل اعتراف تقوله ، اشعر أنك تقوله لله فى سمع الكاهن ، وتقول له فيه « لك وحدك أخطأت » **وليكن خجلك من الله أكثر من خجلك من أب الأعتراف .**

بعد قوله « لك وحدك أخطأت ، والشر قدامك صنعت » ..
قال :

لكى تتبرر فى أقوالك وتغلب إذا حوكمت

أى مهما قلته يارب عنى ، ومهما حكمت به علىَّ ، فأنت بار فى كل أقوالك وفى كل أحكامك ، لأنى أخطأت وفعلت الشر قدامك ، وأنا مستحق لكل عقوباتك . لست أجادلك أو أناقشك أبداً ، فأنت الذى تغلب ، لأنه أمامك « يستد كل فم » (رو٣ : ١٩) .

أما عبارة « إذا حوكمت » فمعناها : إذا عوقبت أو نوقشت .

أو إذا قلت لك « يارب لماذا ... ؟ » أو كما قال ارميا النبى

«ابر أنت يارب من أن أخاصمك. ولكنى أكلمك من جهة أحكامك: لماذا ...» (ار١٢: ١) أنا لست استطيع أن أتكلم، لأنى مضبوط فى الخطية، وخطاياى كثيرة وبشعة. إن ناقشتك فى حكمك ستغلب. فالأفضل أن أصمت.

لأنى هانذا بالإثم حبل بى وبالخطايا اشتهتنى أمى

أى أن الخطايا لها جذورها فى طبيعتى البشرية ... هذه الطبيعة التى فسدت منذ البدء، وورثت أنا هذا الفساد فى طبعى، حينما حبلت بى أمى. لست أقدم هذه الحقيقة كاعتذار، إنما مجرد تقرير لحالتى... إذ كيف أعتذر، وأنت

هكذا أحببت الحق إذ أوضحت لى غوامض حكمتك ومستوراتها

فأنا لم أخطىء عن جهل، لأنك كشفت لى كل شىء فى شريعتك، وفى الضمير الذى وهبتنى إياه. فلم يعد شىء من الحق غامضاً أمامى أو مستوراً عنى. أعطيتنى الوصية، قبل أن أقع فى الخطية. فماذا أقول إذن؟! وأى عذر أتقدم به؟! لست أقول سوى:

نلاحظ هنا أن المرتل مرتبك .يقول الكلام و يعيده . ينتقل إلى معنى جديد ، ثم يرجع إلى الكلام السابق فيكرره... لقد قال من قبل « اغسلنى كثيراً من إثمى ، ومن خطيتى طهرنى » . وهو يعيد الكلام عن حاجته إلى الغسيل والتطهير... ثم يعود فيما بعد فيقول « قلباً نقياً اخلق فىَّ يا الله ، وروحاً مستقيماً جدده فى أحشائى » .

ما معنى قوله « أنضح علىَّ بزوفاك فأطهر ؟ » .

الزوفا كانت نباتاً مثل « شرش الجزر » يغمسونها فى دم الذبيحة ، و يرشون بها للتطهير، أى للتطهيربالدم .

وحسن أن يذكر الإنسان هذا الأمر فى صلاته ، لأنه بدون سفك دم ، لا تحصل مغفرة (عب ٩ : ٢٢) .

فهو محتاج للتطهير... ولا يأتى هذا التطهير إلا بالزوفا المغموسة فى دم الفادى الكريم ، كما قال القديس يوحنا الرسول « ودم

يسوع المسيح إبنه يطهرنا من كل خطية » (١يو١ : ٧)... والمرتل يذكر إنه محتاج أن يغتسل بهذا الدم ، فيقول :

« اغسلنى فابيض أكثر من الثلج »

هى نفس الطهارة والنقاوة ، التى يكرر طلبها كثيراً فى هذا المزمور... أنا سقطت وتدنست وتنجست . وهوذا أنا ألجأ إليك طالباً أن تطهرنى من هذه الطبيعة الفاسدة الميالة للسقوط ومن هذه الخطية الحالية... لست عن العقوبة أتكلم ، وإنما عن حاجتى إلى الخلاص وإلى النقاوة الكاملة التى فيها أبيض أكثر من الثلج . وتزول هذه الخطية من أمام وجهك ، حسب وعدك عن الشرير فى حالة توبته «إنه حياة يحيا... لا يموت . كل خطيته التى أخطأ بها ، لا تذكر عليه» (مز٣٣: ١٥، ١٦) نعم لا تذكر عليه ، حسب وعدك « وخطاياك لا أذكرها» (اش ٤٣ : ٢٥) ، لأنها قد محيت تماماً (اش ٤٣ : ٢٥) (اش ٤٤ :٢٢) (ار٣١ : ٣٤) لا يحسبها علينا (٢كو٥ : ١٩) (مز٣٢ : ٢). ولأنه الآن قد «أبيض أكثر من الثلج » ... تعبير عجيب ، أسمى من أن يشرح ...

يكرر داود الكلام عن حاجته إلى التطهير والنقاوة ، لأنه فى

عمق الحزن بسبب سقطته . لذلك يقول للرب :

اسمعنى سرورًا وفرحًا فتبتهج عظامى المنسحقة ...

وفى بعض الترجمات « فتبتهج عظام قد سحقتها » أما ترجمة « فتبتهج عظامى المتواضعة » فهى ترجمة غير دقيقة . تشبهها أيضاً عبارة « انظر إلى تواضعى وتعبى » وصحتها « انظر إلى انسحاقى أو ذلى ، وتعبى » ...

هنا نتأمل أهمية الانسحاق والحزن المقدس :

كل إنسان معرض للخطية . لا يوجد أحد أكبر من الخطية ، التى طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلاها أقوياء » (أم٧ : ٢٦) . فى الخطية سقط شمشون وداود وسليمان وبطرس الرسول وغيرهم . ولكن الفرق بين الشخص الروحى والشخص غير الروحى ، هو أن الروحى يسقط ويحزن كثيراً على خطيته ، مثلما فعل بطرس ، إذ خرج خارجاً ، وبكى بكاءاً مراً (متى٢٦ : ٧٥) . أما غير الروحى ، فإنه يسقط و يقابل الأمر بلا مبالاة !

وداود ـ لأنه شخص روحى ـ حزن على خطيته ...

أسباب عدم الحزن على الخطية

عدم الحزن على الخطية هو ظاهرة روحية غير صحيحة . ولهذا الأمر أسباب عديدة نذكر منها :

١ - إما أن هذا الإنسان عنده شيء من البر الذاتى، يجعله يشعر أنه لا يخطيء...

٢ - وإما أن ضميره واسع ، ومقاييسه الروحية غير سليمة ، فلا يشعر بعمق الخطية ، أو قد لا يحس اطلاقاً أنه أخطأ . أو أنه يحس الخطأ ، ولكنه يتساهل معه .

٣ - وإما أنه لا يجلس إلى نفسه لكى يفحصها ولكى يحاسبها ، فهو فى غفوة ويحتاج إلى يقظة روحية .

٤ - وإما أنه من النوع الذى يدلل ذاته ويجاملها ، ويقدم لها تبريرات عديدة فى أخطائها . فكل خطأ يرتكبه ، يضع أمامه عذراً أو أعذاراً تخفف منه وتستر عليه ...

٥ - وإما أنه من كثرة أستمراره فى الخطية ، قد أعتادها ،

وأصبحت بالنسبة إليه شيئاً طبيعياً أو عادياً ، لا غرابة فيه ، ولا يستلزم التوقف عنده ، للحكم عليه أو للحزن بسببه ... !

٦ ـ وإما أن هذا الخاطىء يعيش فى بيئة غير روحية . فهى غير مدققة فى أفعالها . فهى لا تجعله يشعر أبداً أنه قد أخطأ ، بل قد تساعده على الخطأ وتشجعه عليه ، أو تبدأ الخطأ وتشركه معها ... وإن شعر أنه يخطىء ، تهون عليه الأمر . ولذلك فإن الذين يعيشون فى بيئة خاطئة ، لا يحزنون على خطية يرتكبونها !

مثال ذلك : إنسان يعيش فى بيئة أو فى بيت كل من فيه يشتم ويحلف . هذا إن شتم أو حلف ، لا يجد من يوبخه . بل يبدو الأمر عادياً جداً . بعكس الذى يعيش فى بيئة متدينة ، إن فعل هذا يخجل ويحزن ، لأن السامعين لا يتقبلون ذلك منه .

٧ ـ كذلك الإنسان الذى يعيش فى لذة الخطية ، هذا لا يجد فى داخله ما يبكته أو ما يحزنه !

بل هو على العكس سعيد بالخطية ، لا يحزن على ارتكابها بل قد يحزن على تركها أو على الحرمان منها ! وداود فى بادىء الأمر لم يكن حزيناً على خطيته ، بل كان مستمراً ، ينتقل من خطوة إلى أخرى تكملها ، يرفه عن نفسه بهذه الخطية وبإكمالها » إلى أن

نبهه ناثان النبى إلى بشاعة ما قد فعل . وحينئذ حزن داود .

حقاً ، ما أكثر ما يستمر إنسان سنوات فى خطيته ، دون تبكيت من ضمير، ودون حزن على ما فعل وما يفعل !

وكما ذكرت لكم فى كتاب (اليقظة الروحية) أنه يشبه كرة تتدحرج من على جبل ، وتظل تتدرج وتتدحرج إلى اسفل ، دون أن تملك قوة على الوقوف . إلى أن يحدث مثلاً أن يعترضها حجر كبير فيوقفها بعد إنحدار طالت مدته ... !

فائدة الحُزن والإنسحاق

أخيراً استيقظ داود إلى نفسه ، وفى غمرة الحزن على سقطته ، قال للرب فى ألم وفى رجاء :

« اسمعنى سروراً وفرحاً ، فتبتهج عظامى المنسحقة » .

اسمعنى عبارة عزاء تريحنى وتريح ضميرى من الداخل ... عبارة طيبة تدخل الفرح إلى قلبى الحزين ، وإلى نفسى المنسحقة ... ولكن الله أحياناً حينما يخلص إنساناً ، و يرد إليه سروره ، لا يسمح أن يتم ذلك بسرعة ، لأن هناك مبدأ معروفاً يقول « إن

الشيء الذى تناله بسرعة ، قد تفقده بسرعة » ذلك لأنك لم تتعب فى الحصول عليه ، ولم تعرف قيمته كما ينبغى ...

لذلك يسمح الله أن المخطىء ، يستمر فى حزنه فترة ...

يبقى فترة فى الذل والحزن والألم والانسحاق ، حتى تستوفى التوبة نصيبها من الندم ، و يشعر الإنسان ببشاعة ما قد فعل . وحينئذ . إن سمح له الله بالفرح ، لا يقوده هذا الفرح إلى الاستهتار ، لأنه مؤسس على دعامة من الإنسحاق .

وللأسف ، فإنه فى بعض الطوائف ما أن يتوب خاطىء ، حتى يهللون و يفرحون ، و يطلبون منه أن يقف على المنبر ليحكى (اختباره) للناس ... وهكذا يتحول بسرعة وفجأة من خاطىء إلى واعظ !! ولكن الكتاب لم يعلم بهذا ...

إن الحزن مفيد للإنسان روحياً ، لذلك يسمح الله به :

وقد ضرب لنا الكتاب مثلاً بحزن داود ، الذى بلل فراشه بدموعه ، و بحزن بطرس الرسول الذى بكى بكاءاً مراً . وذكر لنا أيضاً الذل الذى كابده شمشون إلى أن أستجاب الله لصلاته أخيراً . وما أكثر الآيات التى ذكرت فى الكتاب عن البكاء والدموع والحزن المقدس ... ولكنى سأذكر هنا مثالاً واضحاً بارزاً ،

وهو:

فرح بولس الرسول بحزن أهل كورنثوس والشاب الخاطىء:

فى الرسالة الأولى أمر أن يسلم هذا الخاطىء للشيطان لإهلاك الجسد، لك تخلص الروح فى يوم الرب (١كو٥: ٥). ووبخ أهل كورنثوس لأنهم لم يعزلوا الخبيث من وسطهم، ولأنهم «لم ينوحوا» (١كو٥: ٢، ١٣). وفى الرسالة الثانية يذكر أنه أحزنهم، ويعلق فرحه بحزنهم، فيقول: **«الآن أنا أفرح، لا لأنكم حزنتم، بل لأنكم حزنتم للتوبة، لأنكم حزنتم بحسب مشيئة الله ...» (٢كو٧: ٩).**

ويقول عن هذا الحزن «لكى لا تتخسروا منا فى شىء. لأن الحزن الذى بحسب مشيئة الله ينشىء توبة لخلاص بلا ندامة... فإنه هوذا حزنكم هذا عينه بحسب مشيئة الله، كم نشأ فيكم من الإجتهاد... بل من الغيرة...» (٢كو٧: ٩-١١).

كذلك ذلك الشاب المخطىء نفعه الحزن، ونفعه العزل والعقوبة، حتى أن الرسول عاد ليقول «يكفيه هذا القصاص... حتى تكونوا بالعكس تسامحونه بالحرى وتعزونه، لئلا يبتلع مثل هذا من الحزن المفرط» (٢كو٢: ٦، ٧).

مسكين الإنسان الذى يخطىء، ولا يحزن على خطيئته، ولم يجد كذلك من يحزنه، ومن يبكته و يوبخه على خطيئته... وهكذا مرت الخطية بسهولة بلا ندم، و بلا مذلة... ومسكين أكثر الإنسان الذى لا يقبل التوبيخ، ويحزن بسببه لا بسبب الخطية! كيف يصل مثل هذا الإنسان الخاطىء إلى التوبة؟! وإلى الندم والحزن المقدس... إننى أتأمل أولئك الذين حزنوا على خطاياهم وأتعجب...

وبخاصة الذين شهرت خطاياهم، وسجلت فى كتب!

من منا لا يذكر خطيئة داود التى ذكرت فى الكتاب المقدس (٢صم١١، ١٢)، والتى سجلها داود فى مزاميره، مصحوبة بدموعه، و يرددها الناس حينما يصلون، على الرغم من أنها نقلت عنه ومحيت وأبيض أكثر من الثلج.

ومن منا لا يذكر إنكار بطرس، ويجعله كثير من الوعاظ موضوعاً لعظاتهم، على الرغم من توبة بطرس وتعبه الكثير فى الكرازة والتبشير...! ومن منا لا يذكر زنا راحاب، على الرغم من خلاصها وذكرها فى سلسلة الأنساب... ومع ذلك مازال إسمها هو راحاب الزانية، ليس فقط فى العهد القديم (يش٦: ١٧) بل

حتى فى العهد الجديد أيضاً (عب ١١ : ٣١) فى قائمة شخصيات الإيمان ! أترانا سنناديها باسم راحاب الزانية فى الأ بدية أيضاً ؟؟

بل لنأخذ مثال القديس أوغسطينوس فى أعترافاته ...

لقد كتب اعترافاته فى كتاب قرأته جميع الأجيال من بعده... مع أنه صار من آباء الكنيسة المشهورين الذين دافعوا عن الإيمان، وله مؤلفات مملوءة بالتأملات الروحية العميقة التى أستفاد بها الملايين، إلا أن خطيته ليست فقط أمامه كل حين، بل أمام الكل فى جميع الأجيال منشورة ومشهورة.

كذلك أيضاً نذكر القديسين الذين شهرت خطاياهم ،

على الرغم من أنهم تابوا وصاروا من قديسى التوبة، ووصل بعضهم إلى الرهبنة، وإلى السيامة، وإلى مناصب الرعاية الكبرى..و من بين هؤلاء القديس موسى الأسود، والقديس كبريانوس رئيس الأساقفة والقديسة مريم القبطية، والقديس بيلاجية... وخطايا هؤلاء القديسين، والقديسات مسجلة يدرسها الكبار والصغار...

وماذا نقول نحن عن أنفسها الذين خطايانا مستورة، ومع ذلك لم نبكِ ونحزن عليها !!

مع أننا أعترفنا بها فى السر ولا يعلم بها أحد . وإن تصادف واشار أحد إلى شيء منها ، ولو من بعيد ، ولو عن طريق التلميح ، نثور ونضج ، ونقيم الدنيا ونقعدها ، ولا نعترف أننا أخطأنا بشيء ! حتى الاعتراف السرى على الكاهن نستثقله أحياناً ونستصعبه !
أين التوبة إذن والحزن المقدس ؟ هوذا القديس مقاريوس الكبير يقول «احكم يا أخى على نفسك قبل أن يحكموا عليك» . لعله أقتبس هذا من (١كو١١ : ٣١) . أترانا أيضاً نقبل التأديب ونرضى به كما قال الرسول :

« نؤدب من الرب ، لكى لا ندان مع العالم » (١كو١١ : ٣٢).

على الأقل نمارس شيئاً من هذه الكآبة المقدسة التى قال عنها الكتاب « بكآبة الوجه يصلح القلب » (جا ٧ : ٣) . نمارس الحزن المقدس الذى نشعر فيه أننا بالخطية قد سقطنا ، وأنفصلنا عن الله ، وعن شركة الروح القدس ، وأحزنا الروح القدس ، والملائكة والقديسين ... ولو إلى حين ... ونندم ونبكى على خطايانا .

إن ندم داود ، لم يكن ندماً عابراً ، بل مستمراً ...

لم يكن ندماً إلى لحظة وأنتهى ، بل إنه يقول « أعوم فى كل

ليلة سريرى ، وبدموعى أبل فراشى » (مز٦) لاحظ عبارة - كل ليلة - ويقول أيضاً (خطيئتى أمامى فى كل حين » . وعبارة - كل حين - تعنى الاستمرارية . إن لذة الخطية كانت إلى لحظة أو لحظات ، أما الندم عليها فكان كل حين ، إنها أفقدته فرحه وسلامه ، وأفقدته دالته ، وشركته مع الله ، وأفقدته عزاءه الداخلى... لذلك صرخ إلى الله قائلاً « اسمعنى سروراً وفرحاً فتبتهج عظامى المنسحقة » . ولا يقصد عظام الجسد ، وإنما رمز ذلك روحياً إلى إنسحاق نفسه .

يذكر المرتل الوسيلة التى تبتهج بها عظامه المنسحقة فيقول :

« اصرف وجهك عن خطاياى وامح كل آثامى »

« قلباً نقياً اخلق فىَّ يا الله . وروحاً مستقيماً جدده فى أحشائى . لا تطرحنى من قدام وجهك . وروحك القدوس لا تنزعه منى » .

« أمنحنى بهجة خلاصك ، وبروح رئاسى عضدنى » .

فهو يريد أن خطاياه ، لا تكون أمام عينى الله باستمرار أى لا يذكرها له الله ، بل يمحوها كأن لم تكن .

ولكن الوسيلة التى بها ينسى الله الخطايا ، هى أن يتوب الخاطىء ، ويصير له قلب نقى وروح مستقيم .

فطالما هو مستمر فى خطاياه ، تظل هذه الخطايا قائمة أمام الله ، لا يصرف وجهه عنها . إذن لابد من التوبة ونقاوة القلب وحياة الإستقامة . وهنا يرى المرتل أن هذه النقاوة ليست فى مقدور إرادته الضعيفة ، فقد جرب نفسه ، وعرف كم هو ساقط ، وكم هو سهل الإنجذاب إلى الخطية . إذن لابد من معونة إلهية ليحيا فى النقاوة . ولذلك يقول « قلباً نقياً اخلق فىَّ يا الله ... » .

وعبارة « اخلق » لا تعنى مجرد اصلاح القلب وترميمه !

بل تعنى أنه يريد قلباً آخر غير هذا القلب القديم الذى أخطأ ، قلباً من عند الله ، عبارة عن « خلقة جديدة » (٢كو٥ : ١٧) . فلا يبقى القلب كما هو ، وتضاف إليه بعض المشاعر وكأنها « رقعة جديدة على ثوب عتيق » (متى ٩ : ١٦) . وإنما المطلوب هو خلق قلب جديد لا علاقة له بالماضى كله ، بما فى ذلك الماضى من ذكريات وأفكار وإنفعالات .

وإلى جوار القلب الجديد ، روح مستقيم .

داود إذن يريد الإصلاح من الداخل ، القلب والروح ، وليس

مجرد اصلاح التصرفات الخارجية ، فكثيراً ما يغير الإنسان تصرفاته الخارجية ثم يرجع مرة ثانية إلى الخطية ، لأن القلب نفسه ليس سليماً ، والروح ليس مستقيماً . ولكن المرتل يهتم هنا بداخله ، فيقول « فى أحشائى » .

ويطلب إلى جوار روحه المستقيم ، عمل روح الله فيه .

فيقول للرب « روحك القدوس لا تنزعه منى » ... حقاً إننى لم أطع روحك ، ولم أشترك معه فى العمل ، بل قاومته وأحزنته . ومع ذلك « لا تنزعه منى » . أستبقه فى داخلى ، يبكتنى على خطية (يو١٦ : ٨) ، ويرشدنى إلى كل حق ، ويذكرنى بكل ما قلته لى (يو١٦ : ١٣) (يو١٤ : ٢٦) ، فنزع روحك منى ، معناه أنك قد طرحتنى من قدام وجهك ، وقطعت صلتك بى تماماً ... !

عضدنى إذن بروحك لكيلا أفشل ... وماذا أيضاً ؟

« فأعلم الأثمة طرقك والمنافقون إليك يرجعون »

يجب أن نأخذ هذه الطلبة بمعنى رمزى ، وليس بمعنى حرفى . فمن غير المعقول أن المصلى وهومنكسر القلب وشاعر بخطاياه ، ينتقل فجأة إلى موقف المعلم والمرشد ! أما أنت فحينما تقول هذه

العبارة فى صلاتك، قل فى ذهنك: هؤلاء الأثمة ليسوا سوى حواسي وأفكارى ومشاعرى . أما المنافقون فأعنى بهم المظاهر التى أبدو بها أمام الناس باراً وأنا مملوء بالخطية !! وإذ يتذكر الإنسان خطاياه كلها أمام الله ، يصرخ قائلاً :

نجنى من الدماء يا الله إله خلاصى

ولعلك تقول : « وما شأنى بهذه الطلبة ، وأنا لم أسفك دماً طوال حياتى ؟! » . أقول لك : بل هذه الطلبة تخصك وتخص كل إنسان على وجه الأرض ، إذا فهمنا كلمة الدماء بمعنى آخر وهو :

النفوس التى هلكت ، ومن يدك يطلب الله دمها :

ولعل هذا يوافق ما ورد فى سفر حزقيال النبى ، حيث يقول الرب « ... فذلك الشرير يموت بذنبه ، أما دمه فمن يدك أطلبه » (حز٣٣ : ٨) . مثل هذا الدم هو الذى تطلب من الله أن ينجيك منه ... إذن يمكن أن يكون المقصود بالدماء فى هذه الآية ، هو المعنى الروحى وليس مجرد المعنى المادى ...

الذين يتسببون فى هلاك غيرهم ، يطالبهم الرب بدمائهم :

من أمثلة ذلك كل من يعثر غيره و يوقعه فى الخطية ، حتى لو

لم يخطىء معه ... من أمثلة ذلك الفتاة التى تعثر شاباً فيسقط فى الخطية بالفكر والشهوة أو بالفعل بسببها ، حتى دون أن تسقط هى معه ... ومن أمثلة ذلك بلعام الذى ألقى بعثرة أمام بنى اسرائيل (رؤ٢ : ١٤) . و بالمثل من يعثر غيره بأفعاله الخاطئة ، فيوقعه فى خطية الإدانة وما يصحبها من غضب ... أو من يثير غيره و يوقعه فى الغضب ، دون أن يغضب هو.

كذلك تنطبق هذه الطلبة على من ينشرون البدع والهرطقات والتعليم الخاطىء .

فإن كان الناس يمكن أن يهلكوا روحياً و يفقدوا أبديتهم ، عن طريق البدعة والهرطقة ، إذن لابد أن يطالب بدمائهم من أخترع هذه البدع ومن نشرها ومن علم بها ... ترى كم من الدماء سوف يطالب بها أريوس وأوطاخى ونسطور ، وكذلك من ينشرون أفكار شهود يهوه وأمثالهم ... لأجل هذا كله يقول الرسول «لا تكونوا معلمين كثيرين يا أخوتى ، عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم ، لأننا فى اشياء كثيرة نعثر جميعنا» (يع٣ : ١ ، ٢) . فليحترس إذن الذين ينشرون تعاليم خاطئة ، لأنهم بذلك ينالون دينونة أعظم ، وفيها يطالبهم الله بدماء كل من أعتنقوا تعاليمهم ... كم

وكم إذن تكون دينونة من ينشرون الإلحاد بالتعليم وبالكتب وبالسلطة وبالمثل كل من يثيرون الشكوك فى الدين وفى العقيدة ويفسدون إيمان كثيرين يطالبهم الله بدمائهم ...

تنطبق هذه الطلبة أيضاً على الذين يهملون فى أمور الرعاية والخدمة والتعليم .

وهكذا يقول الرب فى سفر حزقيال النبى «إن لم تتكلم لتحذر الشرير من طريقه ، فذلك الشرير يموت بذنبه . أما دمه فمن يدك أطلبه» (حز٣٣ : ٨) وينطبق هذا على كل الذين يعملون فى الرعاية ، كل منهم فى نطاق اختصاصه ... وفى طقس رسامة البطريرك يقال له «تسلم عصا الرعاية من يد راعى الرعاة الذى أئتمنك على رعيته . ومن يدك يطلب دمها» ... لذلك فالسلطة يسمونها أيضاً مسئولية ، لأن الله سيسأل صاحبها عن النفوس التابعة له ...

وبالمثل ينطبق هذا على الوالدين فى تربية أبنائهما .

سيطالبهما الله بدم كل إبن أهملا فى تربيته . ومن الأمثلة الواضحة فى ذلك «عالى الكاهن» وما أوقعه الله عليه من عقوبة شديدة ، لأنه أهمل فى تربية أولاده ، على الرغم من أنه وبخهم على فسادهم ولكن بطريقة هينة غير حازمة لم تستطع أن تأتى

بالتأثير المطلوب . و ينطبق هذا الكلام بالمثل على المرشدين الروحيين وخدام التربية الكنسية ، وكل من أؤتمنوا على تربية النشء ، كالمشرفين على الملاجيء مثلاً ...

ولعل هذا ينطبق أيضاً على الذين يتخذون موقفاً سلبياً .

أى الذين أمامهم فرصة لإنقاذ الآخرين ولم يتقدموا لإنقاذهم ، مادامت لديهم القدرة على ذلك ... فليس الخطأ فقط فيمن يقودون غيرهم إلى الهلاك ، فيطالبون بدمائهم ... أتراك بعد كل هذا لا تقول « نجنى من الدماء يا الله ، إله خلاصى » ...

جميلة وعميقة هذه العبارة : إله خلاصى .

وما أكثر ما يتحدث داود فى المزامير عن الله مخلصه ، فيقول « خلصنى يارب فإن البار قد فنى » ، « اللهم باسمك خلصنى » ، وأيضاً تلك العبارة التى نقتبسها منه فى صلوات البصخة « قوتى وتسبحتى هو الرب ، وقد صار لى خلاصاً » ... و يتحدث داود كثيراً عن تفاصيل هذا الخلاص الذى ناله ، و يتغنى به ... والسيدة العذراء نفسها تغنت بهذا الخلاص أيضاً فى تسبحتها المشهورة فقالت « ... وتبتهج روحى بالله مخلصى » (لو ١ : ٤٧) .

أتراك أنت أيضاً : تبتهج روحك بالله مخلصك ؟

أولاً تطلب منه وحده الخلاص . ثم تتأمل فى كل المواقف التى خلصك الله فيها ، وتشكره عليها وتبتهج بالرب . تتذكر كم خلصك من الخطية ومن العقوبة ، ومن الناس الأشرار ، ومن الهلاك الأبدى ... وكم غفر لك ...

تأمل فى المزمور أيضاً ، كيف أنه نتيجة لهذا الخلاص يقول المرتل :

فيبتهج لسانى بعدلك

كثيرون يبتهجون برحمة الله و يتغنون بها ، و يطلبونها .

ولكن ما أجمل أن نتغنى بعدل الله أيضاً ، ونبتهج به ...

جميل جداً أن نسمع داود النبى يقول للرب فى آخر مزامير باكر « استجب لى بعدلك » (مز١٤٣ : ١) ولم يقل برحمتك . لأن عدل الله أيضاً هو عدل رحيم ... عدل الله يعرف تماماً قوة أعدائنا الشياطين ، وعنف الخطية فى هجومها ، وكيف أنها طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلاها أقوياء » (أم٧ : ٢٦) ... و يعرف أيضاً طبيعتنا المائلة غير الثابتة ، ومتاعب أرتباطنا بالجسد و بالمادة « يعرف جبلتنا ... يذكر أننا تراب نحن » (مز١٠٣ : ١٤) .

ولذلك فإن الله بعدله ، يقدر ظروفنا و يرحمنا .

إذ يرى آن لنا عدوين : العدو الخارجي ، والعدو الداخلي أيضاً . وقد صرخ القديس بولس الرسول من هذا العدو الداخلي فقال « الشر الذي لست أريده فأياه أفعل.. فإن كنت ما لست أريده أياه أفعل ، فلست بعد أفعله أنا ، بل الخطية الساكنة فيَّ » (رو ٧ : ١٩ - ٢٠) . ويختم شكواه هذه بقوله « آرى ناموس الخطية ... ويحى أنا الإنسان الشقي... من ينقذني من جسد هذا الموت » (رو٧ : ٢٣ ، ٢٤) . لا شك أن الله بعدله ، يُقدّر كل هذه المحاربات ، و يرحم...

وإذ يرحم ، يبتهج لساننا بعدله .

وحسن هنا أن نرى اللسان وهو يستخدم للبر وليس للخطية ... كم قد شكا منه الكثيرون ، وقال عنه القديس يعقوب الرسول إنه « عالم الإثم ... شر لا يضبط ، مملوء سماً مميتاً » ، « لم يستطع أحد من الناس أن يذلله » (يع٣ : ٦ - ٨) . ولكن اللسان هنا يمكن أن يستخدم للخير « به نبارك الله الآب » (يع٣ : ٩) ونبتهج بعدله ... ونغني للرب ، ونسبحه ...

درب نفسك إذن على الاستخدام الطيب للسان ، وتذكر قول الكتاب :

« فم الصديق ينبوع حياة » (أم ١٠ : ١١) .

وأيضاً « فى شفتى العاقل توجد حكمة » (شفتا الصديق تهديان كثيرين » (أم ١٠ : ١٣ ، ٢١) . ونقرأ فى سفر النشيد قوله « شفتاك يا عروس تقطران شهداً » (نش ٤ : ١١) إذ يقطر منها الفهم والحكمة ، وكلمات البركة والعزاء ، وكلمات التسبيح والصلاة ، وكلمات النصح والإرشاد ... ولكن متى يحدث هذا كله ؟ يقول المرتل :

افتح يارب شفتى فينطق فمى بتسبحتك

حينما يفتح الله فمك ، طبيعى أن يخرج منه كلام طيب ، وحينئذ شفتاك تقطران شهداً ... ولكن أسأل نفسك بكل صراحة وجدية :

هل فى كل مرة تتكلم ، يكون الله هو الذى يفتح فمك ؟

أم أن فمك ينفتح بعوامل بشرية ، وبانفعالات خاطئة ؟ قل للرب إذن : افتح يارب شفتى ، لأنى كثيراً ما تكلمت فندمت . ولأن كثرة كلامى لا تخلو من معصية (أم ١٠ : ١٩) ... داود يطلب أن يفتح الله فمه ، لأنه ببشريته فتح فمه من قبل ، فدبر

مؤامرة لقتل أوريا الحثى (٢صم ١٠). فيريد أن يعوض الأمر بأن يترك للرب أن يفتح فمه ليسبحه .

وأيضاً لأنه فى خطيته ، لا يستطيع أن يفتح فمه بالتسبيح ، إذ لا توجد دالة بينه وبين الله ... !

لذلك يطلب من الله أن يفتح فمه بالتسبيح . يمنحه الدالة والحب والمغفرة ، حتى يستطيع أن يسبح الرب ... حقاً إن الخطية تستطيع أن تغلق أفواهنا عن الكلام مع الله ، بل أيضاً عن الكلام عن الله . وكما يقول المرتل أيضاً :

كيف نسبح تسبحة الرب فى أرض غريبة ؟! (مز١٣٧ : ٤) .

كيف نسبحه و نحن فى سبى الخطية ، وقد فقدنا الدالة والحب ، وعلقنا قيثاراتنا على الصفصاف . إن الخاطىء يخجل من الكلام مع الله ... وكثيراً ما يتذكر قول الكتاب : « ذبيحة الأشرار مكرهة للرب » (أم ١٥ : ٨) . لذلك يطلب من الرب أن يفتح فمه و يطلب منه أن يصرف وجهه عن خطاياه ، لترجع الدالة و يرجع الحب ، و بالتالى يرجع التسبيح .

وهكذا يكون التسبيح أيضاً للتائبين . وليس فقط لمن

ارتفعوا فى الحب الإلهى ... فالتوبة والمغفرة ينتجان الحب أيضاً (لو٧: ٤٧).

ينطلق فمى بتسبيحك

التسبيح هو عمل السارافيم (اش ٦) ... وهو أرقى درجات الصلاة:

حيث ينسى الإنسان ذاته، ولا يطلب أى طلب، إنما ينشغل بالتغنى بصفات الله الجميلة، و ينشغل بتمجيده ... وهذا دليل على محبة الإنسان لله، كما قال داود أيضاً: «محبوب هو إسمك يارب، فهو طول النهار تلاوتى» ... فكأن المرتل الذى بدأ بطلب الرحمة لنفسه، وطلب لها التطهير والغسيل والتنقية والاستقامة والنجاة من الدماء، ما أن يصل الآن إلى الله، إله خلاصه، حتى تتحول مشاعره من الخوف إلى الابتهاج ... و ينسى نفسه لكى ينشغل بتسبيح الله الذى صنع معه كل هذا الخلاص.

هل أختبرت فى صلواتك عنصر التسبيح ؟

هل تدربت كيف تتأمل فى صفات الله الجميلة، إلهنا الطويل الروح، الكثير الرحمة الجزيل التحنن ... إلهنا القدوس

الكامل ، غير المحدود ... الأزلى الأبدى ، الذى لا يحد ... حسب كثير من صلوات القداس الغريغورى ؟ ... أم أنت لا تزال منشغلاً بنفسك ، لا تقف أمام الله إلا لتطلب طلباً ... !

هل أنت فى صلواتك منشغل بالله وملكوته ؟ ... أم بنفسك ؟

« اطلبوا أولاً ملكوت الله و بره » (متى ٦ : ٣٣) هكذا علمنا الرب ... أن الإنسان الذى دخل فى نطاق الحب الإلهى ، يجعل الله بالنسبة إليه هو الكل فى الكل (١كو١٥ ، ٢٨) ... و يقول القديس بولس الرسول « فأحيا - لا أنا - بل المسيح الذى يحيا فىَّ » (غل٢ : ٢٠) .

هل أختبرت عبارة « لا أنا » فى صلاتك ؟

إن أختبرتها فى صلواتك ، فلابد ستختبرها فى حياتك ، فتقول « أحيا ، لا أنا » ... وإن أختبرتها فى حياتك ، لابد ستختبرها أيضاً فى صلاتك ... إبدأ إذن فى أن تدرب نفسك على بعض صلوات ، ولو قصيرة ولو قليلة ، تنسى فيها نفسك ، ولا تطلب طلباً سوى ملكوت الله ، وتتغنى بصفة أو أكثر من صفات الله ، فتحدث الله عن ذاته هو، لا عن ذاتك أنت ...

وإن لم تستطع ، وكنت ثقيل الفم واللسان فى هذه الصلوات ، اطلب معونة الرب لتدريبك ، وقل له فى صراحة وفى ضراعة « أفتح يارب شفتى ، فينطق فمى بتسبيحك » .

يا ليتك تعمل على تكريس شفتيك لله :

وإذا تكرست شفتاك لله ، أعنى للحديث معه والحديث عنه ، حينئذ سيتخلص فمك من الأحاديث العالمية ومن أخطاء اللسان ، ولا ينطق فمك إلا بكلمة حياة . وحينئذ أيضاً ستنمو فى صلواتك ، وفى حياة التسبيح . وربما يصمت فمك ، ليتكلم قلبك مع الله ... يصمت مع الناس ، ليتكلم مع الله ...

وبتكريس الشفتين للرب ، تصل أيضاً إلى تكريس الفكر له .

وتصل إلى تكريس القلب أيضاً . وتستطيع أن تقول كما نقول فى التسبحة اليومية : « قلبى ولسانى يسبحان القدوس » . نعم يشترك القلب واللسان معاً ؛ لأن الله لا يريد الشفتين فقط ، بل القلب أولاً ... وفى تسبيح فمك ، تشترك حواسك أيضاً ... تخجل من أن تخطىء فى جو هذا التسبيح .

وبهذا يتكرس الإنسان كله ، فماً وقلباً وحواساً وفكراً .

إن بدأت بالقلب « من فيض القلب يتكلم اللسان » (متى ١٢ : ٣٤). وهنا تشترك الشفاه مع القلب وتعبر عن مشاعره. وإن كان القلب لم يصل بعد إلى هذا الكمال، تصرخ الشفاه إلى الله، فيرسل المعونة والنعمة التي تقدس القلب والفكر معاً، وتقدس الروح أيضاً. لأنه الله يريد الإنسان من الداخل، ويقول: «يا ابني أعطني قلبك» (أم ٢٣ : ٢٦). وهكذا يقول المرتل:

الذبيحة لله روح منسحق

إنه يعرف أن « الله يسر بالمحرقات » إن كانت مجرد محرقات لم يشترك فيها القلب ولا يسر أيضاً بمجرد العبادة الخارجية، إن لم تكن نابعة من القلب، وتعبر عن شعور حقيقي. فهوذا الرب يقول في سفر اشعياء النبي عن مثل هذه العبادة الباطلة.

« أتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات ... لا تعودوا تأتون إلى بتقدمة باطلة » (اش ١ : ١١، ١٢).

ويعبر الله عن رفضه لكل هذه العبادة الباطلة بتفاصيلها فيقول « البخور هو مكرهة لي ... لست أطيق الإثم والاعتكاف ... رؤوس شهوركم وأعيادكم أبغضتها نفسي ... صارت عليَّ ثقلاً، مللت

حملها . فحين تبسطون أيديكم ، أستر عينى عنكم . وإن أكثرتم الصلاة لا أسمع . أيديكم ملآنة دماً » (اش ١ : ١٣ - ١٥) .

العيب إذن ليس فى البخور ولا الأعياد ولا الصلاة ، إنما فى الأيدى الملآنة دماً ...

وهكذا يقول الكتاب « ذبيحة الأشرار مكرهة للرب » (أم : ٨) . إذن ليست كل ذبيحة مقبولة ، ولا كل صلاة مقبولة ، ولا كل صوم مقبولاً ... فالله ينظر إلى القلب ، ثم بعد ذلك يقبل الذبيحة أو لا يقبلها . إثنان صليا فى الهيكل ، فلم يقبل الله صلاة الفريسى ، بينما قبل صلاة العشار فخرج مبرراً دون ذاك (لو١٨ : ١٤) . لأنه كان يصلى بروح منسحقة وقلب منكسر ...

تكلم داود عن العبادة الباطلة المرفوضة فقال :

« لأنك لو آثرت الذبيحة ، لكنت الآن أعطى . ولكنك لا تسر بالمحرقات » ... أى أن المسألة ليست مجرد شكليات ! أخطىء ، فأقدم ذبيحة عن خطيتى ، فيغفر لى ، وينتهى الأمر ... ! بدون توبة ، بدون ندم وانسحاق قلب ، بدون مشاعر داخلية . مثل هذه المحرقات لا يسر بها الله ، لأن القلب والروح لم يشتركا فيها ...

إذن ماذا كانت المشاعر المرتبطة بالمحرقة المقبولة ؟

١ ـ أول شيء أراده الله هو أن يشعر الخاطيء بخطيئته ، متأكداً من أنه لولا خطيته ما كانت تقدم الذبيحة .

٢ ـ و يشعر أيضاً أن أجرة الخطية هي موت (رو٦ : ٢٣) ... وأن الله قال لأ بينا آدم عن عقوبة الخطية « موتاً تموت » (تك ٢ : ١٧) . وعرفت حواء هذه العقوبة تماماً ، أي الموت (تك٣ : ٣) . وهكذا ساد المبدأ اللاهوتي الذي يقول :

« بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » (عب ٩ : ٢٢) .

٣ ـ وهكذا يشعر الخاطيء أنه أخطأ ، وأنه يستحق الموت جزاء لخطيته . غير أن الله من فرط رحمته قبل مبدأ الكفارة والفداء ، بأن تموت هذه الذبيحة أو هذه المحرقة عوضاً عنه ، وهي ترمز إلى السيد المسيح الذي هو «حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو١ : ٢٩) . «كلنا كغنم ضللنا ، ملنا كل واحد إلى طريقه ، والرب وضع عليه إثم جميعنا » (اش٥٣)... لذلك « هو كفارة لخطايانا ... ليس لخطايانا فقط ، بل لخطايا كل العالم أيضاً » (١يو٢ : ٢) .

٤ ـ وهكذا يشعر مقدم المحرقة ، أن هذا الحيوان البرىء إنما يموت عنه هو... فلولا خطيئته ما كان يذبح وتلتهمه النار حتى يتحول إلى رماد (لا ٦ : ٩ ـ ١٣)... وهذه النار ترمز إلى العدل الإلهى الذى يأخذ كاملاً آلام المسيح الذى مات عنا ، ودفع ثمن العدل الإلهى كاملاً... وهنا تثبت فى عقل مقدم الذبيحة حقيقة لاهوتية واضحة فى مبدأ المحرقة والكفارة وهى :

برىء يحمل خطية مذنب ، ويموت عنه ، ليوفى العدل الإلهى .

فهذا الحمل المقدم ليكون محرقة ، هو حمل وديع برىء ، ليس خاطئاً ، إنما هو « حامل خطية غيره » ، تؤخذ نفسه عوضاً عن نفس ذلك الخاطىء مقدم الذبيحة ... وهنا يمتلىء قلب مقدم الذبيحة بالألم والندم لأنه تسبب فى موت هذه الفدية ، فى ذبحها وسلخها وحرقها بالنار... إنها مشاعر يجب أن تكون فى قلبه ، وإلا فقد روحانية الذبيحة .

أترى هذه المشاعر فى قلبك وأنت تتقدم للتناول ؟

وهل هذه المشاعر تكون فى قلبك فى أسبوع الآلام ، وفى يوم الجمعة الكبيرة ، وفى صلاة الساعة السادسة التى تصليها كل

يوم ؟ وهل هذه المشاعر تكون فى قلبك أثناء الاعتراف وتحليل الكاهن ، وتحويل خطاياك إلى حساب المسيح ، ليدفع الثمن عنها ؟ وهل أثناءها تسمع الكلمة التى قالها ناثان لداود « الرب قد نقل عنك خطيئتك . لا تموت » (٢صم ١٢ : ١٣) . نقلها عنك إلى المسيح . ولا تموت ، لأنه هو المحتمل الموت عنك ...

وهل فى كل هذا ، يكون لك الروح المنسحق والقلب المنكسر ؟

إنك تفرح بمغفرة الخطية . ولكن ينبغى أن يكون لك القلب المنكسر الذى يعرف الأسلوب الذى غفرت به خطيته ، وكيف أنها حملت لغيره . فى يوم الفصح كان يفرحون بالخلاص عن طريق الدم المرشوش على الأبواب ، ولكنهم فى نفس الوقت كانوا يأكلون الفصح على « أعشاب مرة » (خر١٢ : ٨) متذكرين خطيئتهم ، والدم الذى سفك عنهم ، ورمزه ...

ما مركز « الأعشاب المرة » فى حياتك ؟

كثيرون يفرحون بالخلاص العظيم الذى قدمه السيد المسيح عندما وَفى العدل الإلهى ، ويغنون قائلين « يبتهج لسانى بعدلك » . ولكنهم ينسون ما قاله المرتل فى نفس المزمور عن الروح

المنسحق والقلب المنكسر. هم يفكرون فى أنفسهم فقط كيف نالوا الخلاص . وللأسف لا يفكرون فى المخلص المحب ، كم تألم لكى يخلصهم ... !

إن الروح المنسحق هو فى نفس الوقت حساس ومحب .

حساس جداً بكم فعل هو من خطية ، وبكم فعل الرب به ... فى حساسيته ، يضع خطيته أمامه فى كل حين ، ويضع آلام المخلص أمامه فى كل حين أيضاً . يفرح بالخلاص وينكسر قلبه بسبب الدم الكريم المسفوك عنه . حقاً إن ذبيحة المسيح قد قدمت خلاصاً كاملاً للكل . ولكن لا يستفيد منه سوى التائبين المعترفين بخطاياهم ، المنسحقى القلب بسببها ، الذين تنكسر قلوبهم بسبب كسرهم للوصايا ، وبسبب ما حملوه للمسيح فى فدائه لهم ...

أما عن المحرقات التى لا يسر بها الله فهى :

المحرقات التى تقدم بدون مشاعر قلبية كالتى ذكرناها ، أو التى تقدم بدون توبة وندم وعزم أكيد على تغيير السيرة ، أو التى تقدم بكبرياء وبافتخار، مثل صلاة الفريسى (لو١٨) ، أو التى تقدم بأيد ملآنة دماً (أش ١ : ١٥)، أو التى تقدم بدون فهم لرموزها وللثمن المدفوع عنها ، أو التى تقدم من قلب قاس غير حساس .

أما القلب المنكسر والمتواضع فلا يرذله الله

كثيرة هى آيات الكتاب عن وقوف الله إلى جوار المتضعين «الرب يشفى المنكسرى القلوب، ويجبر جميع كسرهم» (مز١٤٧ : ٣). هو «الساكن فى الأعالى، والناظر إلى المتواضعين» (مز١١٣ : ٥) الذى «أنزل الأعزاء عن الكراسى، ورفع المتضعين» (لو١ : ٥٢). إنه لم يرذل قلب داود المنكسر، ولا قلب شمشون المنكسر أمامه، ولا قلب أوغسطينوس المنكسر أمامه، ولا قلب المرأة الخاطئة المنكسرة فى دموعها، ولا دموع بطرس الذى بكى بكاءاً مراً ...

إن القلب المنكسر، يمكنه أن يصلى صلاة مقبولة.

صلاة متضعة منسحقة، يمكنها أن تدخل إلى الأقداس وتأتى باستجابة، مثل صلاة حنة زوجة القانة، التى صلت وهى مرة النفس، وبكت بكاءاً، وقالت، يارب «إن نظرت نظراً إلى مذلة أمتك وذكرتنى» (١صم١٠ : ١١). مع أنها لم تكن صلاة توبة، إنما كانت طلبة من قلب منكسر وروح منسحقة ...

القلب المنكسر مثل الزيتونة التى تعصر عصراً لتخرج زيتاً.

وهي مثل الزهرة التى تسحق فتعطى عطراً ، ومثل حبة البخور التى تحرق لتعطى رائحة زكية ترتفع إلى فوق ، ومثل الشمعة التى تذوب لتعطى نوراً ، «ومثل حبة الحنطة التى إن لم تقع فى الأرض وتمت ، فلن تعطى ثمراً» (يو١٢ : ٢٤)... ومثل البئر التى إن لم تحفر فلا تعطى ماء...

والقلب المنكسر له صفات روحية معروفة :

هو قلب متواضع ، لا يمدح نفسه ، ولا يقبل داخله المديح من آخرين . هو بعيد عن المجد الباطل ، متذكر لخطاياه باستمرار . إنه لا يبرر نفسه فى أى خطأ ، بل إن لومه لنفسه على أخطائه أكثر بكثير من اللوم الذى يوجه إليه من الخارج . إنه لا يجادل فى أية عقوبة توجه إليه . ولا يتعالى على أحد ، ولا يقسو، ولا يدين ولا يلوم ، ولا يظن أنه أفضل من أحد .

القلب المنكسر هو المحرقة التى تحولت إلى رماد .

إنه أمام نفسه ، وأمام الناس ، وأمام الله ، هو مجرد تراب ورماد ، مثلما قال أبونا ابراهيم عن نفسه (تك١٨ : ٢٧) ، ومثلما وصل إليه أيوب الصديق فى حواره مع الله (أى٤٢ : ٦) . القلب المنسحق هو ذبيحة أمام الله ، عملت فى مشاعره الداخلية نار العدل الإلهى ، ونار المحبة الإلهية ، فحولته إلى رماد ... وهو يبقى باستمرار رماداً ، لا يعود ليرتفع بعد فترة من التوبة ، كما يحدث

لكثيرين ... هنا و يقول المرتل للرب :

أنعم بمسرتك على صهيون ...

وأيضاً « ولتبن أسوار أورشليم » ، وكلمة صهيون ، وكلمة أورشليم ، أى « مدينة الملك العظيم » (متى ٥ : ٣٥) ترمزان باستمرار إلى جماعة المؤمنين ، أو إلى قلب الإنسان المؤمن، حينما تأخذان معنى رمزياً ...

فهو هنا يتذكر أن قلبه المنكسر صار محرقة للرب ، و يتذكر أن المحرقة قيل عنها أكثر من مرة إنها « محرقة وقود ، رائحة سرور للرب » (لا ١ : ٩، ١٣ ، ١٧) ، فيقول للرب « أنعم بمسرتك على صهيون » أى أرض عنى وعن شعبك . اظهر لى مسرتك بهذه التوبة ، بهذا القلب المنكسر وهذه الروح المنسحقة ، وارفع غضبك عنى وعن شعبك ... ولتبن أسوار أورشليم ، أى أسوارى المنهدمة التى استطاعت الخطية أن تقتحمها وتدخل إلى قلبى ...

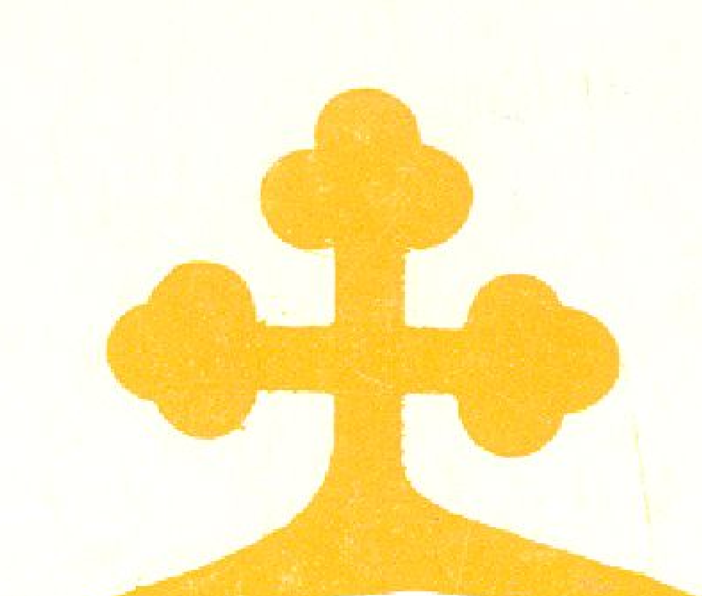
حينئذ يقربون على مذابحك العجول (أى الذبائح الكبيرة) .

أى المقصود بذلك ، أننا سنحيا حينذاك فى حياة التسبيح ، نقدم لك ذبائح الشكر والحمد ، وذبائح القلوب المنكسرة .

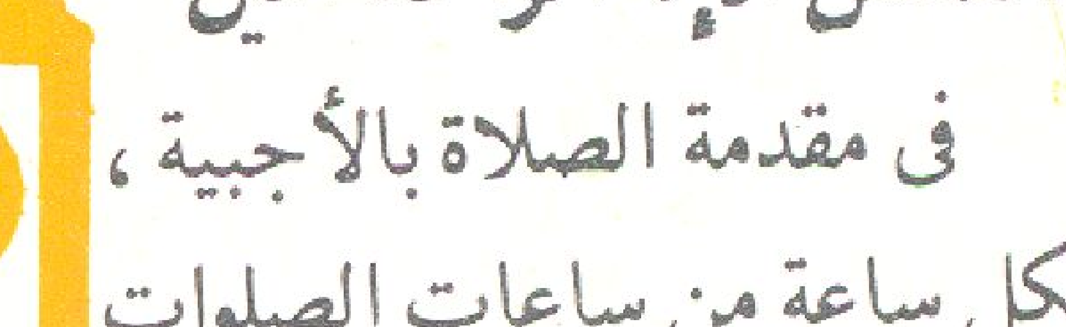
فهرست

صفحة

***



باسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين



فى مقدمة الصلاة بالأجبية ، لكل ساعة من ساعات الصلوات السبع ، نصلى صلاة الشكر والمزمور الخمسين . وهذا الكتاب الذى بين يديك هو تأملات فى كليهما .

ننشره كمقدمة للصلوات المشتركة فى ساعات الأجبية .

وأتوقع أن يعقبه كتاب ثان عن الثلاث تقديسات ، ثم كتاب ثالث عن صلاة « أبانا الذى » ثم باقى الصلوات ...

وغايتنا أن تدخل إلى عمق كلمات الصلاة ، وتكون صلاتك أكثر عمقاً ، وأكثر فهماً ، وتعنى كل لفظة تقولها ..

وحينئذ تشعر أن صلوات الأجبية أصبح لها تأثير كبير فى روحياتك .

البابا شنوده الثالث



الثمن ٧٥ قرشاً

